



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

## مذكرة ماستر

تقديم الطالب: جلول العـقـون

ميدان: لغة وأدب عربي

شعبة : دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

### دراسة أسلوبية لرسائل لسان الدين بن الخطيب

- رسالة الشوق إلى عبد الرحمان بن خلدون أنموذجا -

#### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
جلول بن شاعة	أستاذ مساعد ( أ )	رئيسا
بولرباح عثمانى	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقررا
عبد القادر معمري	أستاذ محاضر ( ب )	مناقشا

السنة الجامعية 2022/2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# إهداء

أهدي ثمرة جهدي و اجتهادي إلى من قال الله عز و جل فيهما

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا َإِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الإسراء (23)

إلى من ربّني و أنارت دربي بالدعوات و الصلوات و مثال العطاء الوالدة الغالية

إلى من رأى نجاحي نجاحه و الوالد العزيز

إلى من ساندتني و كانت نعم الرفيقة و الشريكة الزوجة الكريمة

إلى المؤسسات الغاليات بناقي الصغيرات : نور الهدى ، خديجة ، جنان

إلى أخوتي و أخواتي شركاء المحبة و الإخاء و الوفاء

إلى كل الأصدقاء و الزملاء و كل من يكن لي الخير و المودة

العقون جلول

# شكر و عرفان

الحمد لله العلي العظيم الذي منّ عليّ بنعمته فألهمني روح الصّبر و المثابرة لأتمّ

هذا العمل و ما كنت لأتمّه إلا بفضلته و توفيقه أشكره شكرا عظيما يليق بجلال

وجهه و عظيم سلطانه و بعد :

أرفع أسمى عبارات الشكر و العرفان إلى الأستاذ الدكتور " بولرباح عثمانى "

الذي تكرم مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة و الذي رافقني خطوة بخطوة

و لم يبخل عليّ بتوجيهاته و نصائحه القيّمة فجزاه الله خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتنا الكرام لكل ما قدّموه لنا بإخلاص خلال

سنوات الدراسة .

و أتقدم بالشكر إلى كل من قدّم لي يد العون و إلى كل من ساهم في انجاز هذا

العمل المتواضع من قريب أو من بعيد و لو بكلمة تشجيع .

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلّاة و السّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد عليه أفضل الصلّوات و أزكى التّسليم و على آله و صحبه الطّاهرين أجمعين و بعد.

اهتم الإنسان العربي منذ القديم بالفنّ و الأدب ، فقد كانت حاجتهم إليهما كحاجتهم للماء و الغذاء، و لذلك نجدهم قد خلّدوا لنا إنتاجاً أدبياً و فنياً يعكس واقعهم و معبرين من خلاله عن عواطفهم و مكنونات نفوسهم في قالب لغويّ رصين و ألفاظ فصيحة جميلة ، و من أشكال التّعبير عندهم نجد الشّعور و التّشّ، و هذا الأخير الذي تطوّر عبر العصور إلى أرقى صوره ، و نجد من بين فنون التّشّ فنّ الرّسالة الذي نشأ في العصر الجاهلي فتيا بسبب جهل العرب للقراءة و الكتابة و أخذ هذا الفنّ في التطوّر و الازدهار إلى أن وصل إلى مكانته الرفيعة في العصر الأندلس و في هذا العصر نبغ عدد من الكتاب من بينهم صاحب الوزارتين لسان الدّين بن الخطيب فقد كانت رسائله الديوانية و الإخوانية ذات شكل فنيّ و أدبيّ تنمّ عن براعة و قدرة عالية ، بالأخص الرّسالة التي أرسلها إلى صديقه عبد الرحمان بن خلدون و التي حملها أشواقه الكبير و بعواطفه الجياشة نحو صديقه ، و هذا الرّسالة عند دراستها أسلوبياً يجعلنا نفهمها و ندرك ما فيها من خصائص فنيّة و ابداعية و مشاعر انسانية قويّة و عليه فإن موضوع بحثي موسوماً بـ

### دراسة أسلوبية لرسائل لسان الدّين بن الخطيب.

#### – رسالة الشّوق إلى عبد الرحمان بن خلدون أنموذجاً –

بعد تشجيع و تحفيز أستاذي المشرف للتطرق لهذا العنوان تولدت في نفسي رغبة في :

- الخوض في المواضيع الأدبية القديمة و التعمق فيها.
  - إعادة الصورة المشرفة لبعض صفحات تراثنا العربي و خصوصاً أدب الرسائل.
  - محاولة إبراز شخصية لسان الدّين بن الخطيب و إظهار مدى براعته و قدرته الأدبية و اللغوية فهو صاحب الوزارتين و الكاتب و الشاعر و الطبيب و الفقيه.
  - تطبيق الدراسات الحديثة و بالخصوص الأسلوبية على التراث القديم و المتمثل في أدب الرسائل.
- وكل هاته المعطيات جعلتنا نطرح الإشكالية التي مفادها

- ما هو فنّ الرّسالة ؟

- ما هو السّياق التاريخي لنشأة وتطوّر هذا الفنّ في التراث العربي ؟

- ما هي الظواهر و السّمات الأسلوبية في رسالة الشّوق من ابن الخطيب لصديقه ابن خلدون ؟

و للإجابة على هاته الإشكاليات قسمت البحث إلى مدخل و فصلين ، ففي المدخل تطرقت فيه إلى تعريف فنّ الرّسالة لغة واصطلاحاً، ثمّ قمت بتعريف الأسلوبية بعدها تكلمنا عن لسان الدين بن الخطيب حياته و آثاره و ندخل إلى الفصل الأول و المعنون بنشأة و تطوّر فنّ الرّسالة "مقاربة تاريخية" وبدأنا من نشأة هذا الفنّ في العصر الجاهلي وكيف تطوّر إلى غاية عصر الأندلس مروراً بالعصر النّبوي وبعده عصر الخلافة الراشدة و المتمثلة في عهد سيدنا أبي بكر الصديق وبعده عهد سيدنا عمر بن الخطاب الفاروق ثم يأتي عهد سيدنا عثمان بن عفان ذو النورين و آخرهم عهد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ننتقل إلى العصر الأموي وبعده يأتي التطوّر في العصر العباسي و في كل عصر تناولت فنّ الرّسالة وخصائصها ومميزاتها وكذا أنواع الرّسالة و أغراضها ليأتي الفصل الثاني والمعنون بالدراسة الأسلوبية و هو الجانب التطبيقي في الرّسالة ، حيث قمت بدراسة أسلوبية لرسالة الشوق من ابن الخطيب لصديقه ابن خلدون و حصرت الدراسة في ثلاث مستويات الصّوتي و التركيبي والدّلالي ففي المستوى الصّوتي تطرقت إلى ظاهرة التكرار الصّوتي و المتمثلة في الجهر و الهمس و ثم حروف اللين و دلالتهم في الرّسالة وفي المستوى التركيبي تطرقت إلى تركيب الجمل الاسمية و الجمل الفعلية ، و أسلوب النفي ، و الأساليب الإنشائية ، أما المستوى الدّلالي فتطرقت إلى دلالات الرموز كالرمز الدّيني و الرمز التاريخي و الرمز الطبيعي ، و في الحقول الدّلالية نجد حقل الدّين و حقل الكائنات الحية و حقل الطبيعة .

لكل بحث منهج يحدد عناصره و يوضح محاوره ، و المنهج الذي اعتمدت عليه هو المنهج الوصفي التاريخي التحليلي في الفصل الأول لأنه الأنسب للمقاربة التاريخية لنشأة و تطوّر فنّ الرّسالة ، و أما في الفصل الثاني التطبيقي فكان اعتمادي على المنهج الاحصائي الوصفي و هذا يتناسب مع الدراسة الأسلوبية لرسالة الشوق إلى ابن خلدون .

و من بين الدراسات السابقة التي تقاطعت مع بحثي وجدت هاته الدراسات .

1- صليحة ابراهيمي، الرّسالة الاخوانية في التراث العربي "مقاربة أسلوبية"، رسالة الماجستير، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017.

2- أسماء مزعاش وسارة لبارش، الخصائص الفنيّة لأدب الرسائل عند لسان الدّين بن الخطيب، رسالة ماجستير، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2021.

3- جوهرة علوي، شعرية الترسّل بين السّياق التراثي والسّياق المعاصر دراسة أسلوبية رسائل ابن الخطيب وكتاب الشعلة الزرقاء - رسائل جبران إلى مي زيادة - ، أطروحة دكتوراه، جامعة غرداية، غرداية، 2021.

و قد اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع في بحثي هذا و هي :

1 - أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971.

2 - أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة مصورة بدار الكتب العلمية ، ط 1.

3 - حسين نصار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدّينية ، القاهرة، مصر ، ط 1، 2006 .

4- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1، تح : إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978م.

في الأخير أقول أن هذا البحث لا يرقى لدرجة الكمال ، غير أنّه محاولة جادة للدراسة و التحليل ، و منه فان أصبت فذلك بتوفيق من الله عزّ وجلّ و إنّ أخطأت فمن نفسي ، و لا أقول سوى أنّي حاولت ، و المحاول يصيب و يخطئ .

كما لا يفوتني أن أتقدم بعبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف على ما تكبده من مشقة الاشراف على هذا البحث وصبره في سبيل خروج هذا العمل بالصورة التي تليق بمكانة لسان الدين بن الخطيب ومقدرته اللغوية والأدبية في العصر العباسي.

# مدخل (تعريفات)

1- تعريف الرسالة

2- مفهوم الأسلوب و الأسلوبية

3- لسان الدين بن الخطيب حياته و آثاره

### 1. تعريف الرسالة :

لابد للإنسان في حياته اليومية من التواصل مع غيره في مختلف مناحي الحياة فكانت الرسائل من بين أهم وسائل التواصل التي تحقق تلك الغاية السامية ، و تعد الرسائل في التراث العربي من الفنون و الأجناس التي تعطي صورة واضحة عن الأحوال الأدبية و اللغوية، و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية في الفترة التي كتبت فيها الرسائل ، و قبل التطرق لموضوعنا لابد من تعريف الرسالة لغويا و اصطلاحيا .

#### أ - التعريف اللغوي :

قبل أن نقف على المعنى الاصطلاحي للرسالة لابد أولا من التعرض للمعنى اللغوي حيث نجد ان الجذر مكون من الراء و السين و اللام و قد جاء في معجم تاج العروس " للزيدي " في مادة رَسَلَ بأنها مادة مشتقة من الإرسال بمعنى "التوجيه و به فسر إرسال الله عز و جل أنبياء عليهم السلام كأنه وجه إليهم أن أندروا عبادي و منه الاسم الرسالة بالكسرة..."<sup>1</sup> ، ويقصد هنا أن الرسالة تختص بتوجيه كلام معين.

و يؤكد صاحب القاموس المحيط "الفيروز أبادي" ، نفس المعنى و الذي هو التوجيه و الإرسال فيقول: " و الإرسال و التسليط و الإطلاق و الإهمال و التوجيه ، و الاسم الرسالة، بالفتح والكسر " <sup>2</sup> ، وهذا الفعل ورد في القرآن الكريم في قوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ۗ قَالَ يَبِشْرِي هَذَا عُلْمٌ ۖ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ۚ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ <sup>3</sup> ، و في نفس السورة ورد أيضا في موضع آخر حيث يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>4</sup> ، و كلاهما يتضمنان معنى البعث و الإرسال ، أما العالم اللغوي قدامة بن جعفر ت 337هـ فقد ذكر في مؤلفه نقد النثر عند كلامه عن اشتقاق مصطلح الرسالة و الترسّل بقوله « الترسّل من تراسلت أترسل ترسّلا ولا أنا مترسّل ... إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر... و راسل يراسل مراسلة فهو مراسل و ذلك إذا كان هو و من يرأسله قد اشتركا في المراسلة ، و أصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يرأسل به من بعد و غاب فاشتق له اسم الترسّل و الرسالة من ذلك " <sup>5</sup> ، قدامة بن جعفر يجعل من خلال هذا التعريف التكرارية و

<sup>1</sup> مرتضى الزبيدي، تج العروس، ص501

<sup>2</sup> الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص905

<sup>3</sup> سورة يوسف الآية 19

<sup>4</sup> سورة يوسف الآية 63

<sup>5</sup> أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد والنثر، ص84

## مدخل (تعريفات)

المشاركة و غياب أحد طرفي التراسل أهم شروط الرسالة ، التي تتمثل في قطعة من النثر تطول أو تقصر حسب مشيئة الكاتب و غرضه و أسلوبه .

وهذا يدل على أن المراسل هو من اشترك في المراسلة مع آخر يكون بعيدا أو غائبا عنه، و للرسالة ألفاظ مترادفة، إذ أنها جميعها تدل على معنى واحد وهو التخاطب بالكتابة أو بلسان القلم ، وبهذا تكون لمادة رَسَلٍ العديد من المعاني و الدلالات اللغوية التي تولدت عنها و التي وردت في معاجم مختلفة ومتنوعة.

### ب - التعريف الاصطلاحي :

يتعدد مفهوم الرسالة في الاصطلاح بتعدد آراء النقاد و الأدباء بسبب دلالة استعمال كلمة رسالة و بذلك فقد وجدنا عدة تعريفات اصطلاحية للفظ الرسالة و من ذلك يقول القلقشندي : " الرسائل هي جمع رسالة و المراد فيها أمور يرتبها الكاتب من حكاية حال من عدو أو صديق ، أو مدح او تقرير ، أو مفاخرة بين شئين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، و سميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال. " <sup>1</sup>

و يعرفها عبد العزيز عتيق بأنها "قطعة من النثر الفني ، تطول أو تقصر، تبعا لمشيئة الكاتب و غرضه و أسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، و قد يكون هذا الشعر من نظمه ، أو ممن يستشهد به من شعر غيره ، و تكون كتابتها بعبارة بليغة ، و أسلوب حسن رشيق ، و ألفاظ منتقاه، و معان طريفة. " <sup>2</sup>

أما في تعريفها عند أحد المعاصرين فيقول في معرض حديثه "الرسالة ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون الخاصة ، أو عامة و ينطلق فيه الكاتب عادة على سجيته بلا تصنيع أو تأنق و قد يتوخى حين البلاغة و الغوص في المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع. " <sup>3</sup>

إذن فالرسالة هي كلام مكتوب يحمل موضوعا معيناً من طرف مرسل إلى مرسل إليه أو متلق، عبر وسيلة اتصال هي الكتابة، هذه العملية تسمى التراسل، و المترسل هو الشخص الذي يتكرر فعله لكتابة و إرسال الرسائل ، تعد من أهم الفنون النثرية التي كان لها دور في حياة العرب عامة و دور أهم في حياة الأدباء خاصة ،

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج 9 ، طبعة مصورة بدار الكتب العلمية ، ط1 ، ص 138

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1976م ، ص 448،

<sup>3</sup> جبور عبد النور ، المعجم الادبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1979م ، ص 122

## مدخل (تعريفات)

كان كتابها فرسان الشعر و البلاغة ، حيث استخدموا مواهبهم الشعرية و ذوقهم الأدبي للارتقاء بأساليب تعبيرهم و التفنّن فيه .

### 2. الأسلوب و الأسلوبية:

لقد اهتمّ الدارسون المحدثون بالأسلوب اهتماما واسعا، فُدرس في ضوء المعطيات الجديدة للنظر اللغوي و الأدبي و النقدي ، و ارتبط باللّغة بشكل أساسي، حتّى بات يتحدّد بالاستخدام الخاص لها بمختلف مستوياتها و مكوناتها ، لأن المبدع يتميز عن غيره بالكيفيّة التي يستخدم فيها إمكانات اللغة و طاقاتها المتعددة ، بما فيها من خيارات تعبيرية متنوعة ، يعني الأسلوب الكيفيّة التي يستخدم فيها المبدع أداة أو طريقة تعبيرية معينة من بين خيارات متعددة ، و ضمن تأليف خاص، فكأنه "طريقة في الكتابة (أو) هو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ، و يتميز في النتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال و صوابها"<sup>1</sup> و يمكن أن تعدّ علم دراسة الأسلوب أو منهج دراسة الأساليب ، فهي تطلق على جملة المبادئ و المعايير الكبرى التي يحتكم إليها في تمييز الأسلوب و تحليله، فالأسلوبية هي الكل والأسلوب هو الجزء، و من جماع الأساليب تتكون الأسلوبية في تحديدها الحتامي.

و يمكن أن تسلك الأسلوبية في إطار المناهج النقدية الحديثة التي تطوّرت بتأثير من اللغويات الحديثة، و دراسات علم اللغة التي وضع أساسها فرديناند دي سوسير ، كما أنها وطيدة الصلة بالبلاغة ، التي كانت قد نظرت في كثير من القضايا الأسلوبية على نحو جزئي ودون قصد لدراسة الأسلوب ، كما تتصل الأسلوبية بكل ما له دور في تشكيل النّصّ من مكونات لغوية أو صوتية أو جمالية أو دلالية بتنوع العلوم الفرعية التي تنتمي إليها هذه المكونات.

وبما أن المبدع يعتمد على اللغة بوصفها المادة الأساس في عمله الإبداعي ، فإن الأسلوبية تتأمل طريقة استخدام اللغة ، لتجمع من الجزئيات والتفاصيل ما يمكن الخروج به من تعميمات تحليلية تدلّ على طبيعة أسلوب الكاتب أو الشاعر، و يمكن أن يتم هذا التحليل وفق مستويات من الناحية العملية وهي: المستوى الصوّتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، وبشكلها العام: "منهج يدرس النّصّ، و يقرأه من خلال لغته وما تعرضه من

<sup>1</sup> - بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 17.

## مدخل (تعريفات)

خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها نحويًا، ولفظيًا، وصوتيًا، وشكليًا، وما تفرد به من وظائف و مضامين و مدلولات، و قراءات أسلوبية لا يمت المؤلف بصلة مباشرة لها على أقل تقدير<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لتعريف الأسلوبية من منظور عربي، فيبدو أنها مرتبطة ارتباطًا كبيرًا بآراء ووجهات النظر الغربية، المقاربة المصطلحية والمفهومية للأسلوبية، نجد تعريف إبراهيم عبد الجواد الذي جاء فيه: "و الدافع الحقيقي لنشأة الأسلوبية يكمن في التطور الذي لحق الدراسات اللغوية وتكاد الدراسات العربية تجمع على أنّ نشأة الأسلوبية ترتبط وثيقًا بهذا التطور، و تعده أساس الدراسات الأسلوبية، و إذا آمنّا بأنّ الأسلوبية جاءت وليد التطور الذي لحق العلوم الثلاثة: النقد و البلاغة و اللغة، فإننا نؤيد أن نشأة الأسلوبية لغوية و لاسيما التطور في مجال الدراسات الأدبية و يرى أحمد درويش أن كلمة (أسلوبية) قد وصلت إلى معنى محدد في أوائل القرن العشرين، وهو تحديد مرتبط بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة"<sup>2</sup>.

و من هنا نفهم أنّ الأسلوبية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على الدراسات اللغوية، التي تمهد لدراسة النصّ الأدبي، وهذا يبين أن الأسلوبية لا تكتفي ببنية النصّ كما هي البنيوية بل تنظر أيضًا إلى ما يحيط بها نظرة شمولية تهدف من وراءها إلى خلق جماليات النصّ الأدبي، بالإضافة إلى علاقتها بالبلاغة العربية.

### 3 - لسان الدّين بن الخطيب حياته و آثاره :

#### أ - نسبه و مولده:

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، يكنى أبا عبد الله، عرف بلقب ذي الوزارتين (الأدب والسياف) تقيمت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة، كما لقب بزدي العمرين و ذي الميبتتين، ولد بمدينة لوشة في الخامس و العشرين من شهر رجب سنة 713 للهجرة الموافقة لـ 1313 ميلادي .

<sup>1</sup> - محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، ع95، أيلول 2004، رجب 1425، نسخة

الالكترونية من موقع اتحاد كتاب العرب، [www.awu-dam.org](http://www.awu-dam.org).

<sup>2</sup> - الطرابلسي محمد الهادي، قضايا الأدب العربي، مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1978، ص 88.

## مدخل (تعريفات)

لقب بالخطيب نسبة إلى جدة الثالث سعيد الذي كان يجلس للعلم و الوعظ فعرف بالخطيب ثم لحق اللقب بالأسرة منذ إقامتها في لوشة و كانت أسرة ابن الخطيب من إحدى القبائل العربية القحطانية التي وفدت إلى الأندلس ، و يعتبر ابن الخطيب من أشهر و أعظم الشخصيات التي ظهرت في الأندلس و كان ذلك في القرن 8 هـ ، فقد كانت عبقريته شاملة لجوانب عديدة ، فهو شاعر و كاتب متمرس بارع ، و كان طبيبا و فيلسوفا ، إضافة إلى ذلك مؤرخ متميز و وزير سياسي متمكن ، ثاقب النظر ذو إدراك قوي.

### ب - نشأته و وفاته:

نشأ لسان الدين في أسرة عرفت بالعلم و الفضل و الجاه ، بعد ولادة لسان الدين في رجب سنة 713 هـ انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي الحجاج يوسف ، و في غرناطة درس لسان الدين الطب و الفلسفة و الشريعة و الأدب ، و لما قتل والده سنة 741 هـ في معركة طريف كان مترجماً في الثامنة و العشرين، فحل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجيّاب ، " تلقى ابن الخطيب في ديوان الإنشاء على يد الكاتب الشاعر المبدع (بن الجيّاب) أرفع أساليب النظم و النثر في هذا العصر ، و ظهرت براعته في تدبيق الرسائل السلطانية " <sup>1</sup> ، ثم توفي هذا الأخير بالطاعون الجارف ، فتولى لسان الدين منصب الوزارة ، و يصف لنا ابن الخطيب في ترجمته في الإحاطة مركزه في الوزارة و ما أغدقه عليه السلطان من الثقة و الإيثار في قوله : " فقلدني السلطان سره ، و لما يستكمل الشباب و يجتمع السن معززا بالقيادة ، و رسوم الوزارة و استعملني للسفارة إلى الملوك ، و استنبأني بدار ملكه و رمى إلى يدي بخاتمه و سيفه ، و اتهمني على سنوات حصرته و بيت ماله و سجوف حرمه ، و معقل امتناعه " <sup>2</sup> ، و لما قتل أبو الحجاج يوسف سنة 755 هـ و انتقل الملك إلى ولده الغني بالله محمد استمر الحاجب رضوان في رئاسة الوزارة و بقي ابن الخطيب وزيراً.

ثم وقعت الفتنة في رمضان من سنة 760 هـ، فقتل الحاجب رضوان و أقصى الغني بالله الذي انتقل إلى المغرب الأقصى و تبعه ابن الخطيب و بعد عامين استعاد الغني بالله الملك و أعاد ابن الخطيب إلى منصبه و تعرف على علماء المغرب كابن خلدون الحضرمي الإشبيلي و غيره و بدأ فيها يكتب بعض آثاره المنظومة و المنثورة ، كما و تقلد بعض المناصب الحكومية ، و كان يبعد كل منافس له من الاقتراب للسلطان ، حتى أنه لم يكن يحتمل وجود صديقه الشهير عبد الرحمن ابن خلدون في غرناطة، إذ كان يقلقه اهتمام الغني بالله به.

<sup>1</sup> لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص22

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص22

## مدخل (تعريفات)

ثم شعر ابن الخطيب بأن أعداءه، أخذوا يكيدون له عند الغني بالله ، فاتصل سرّاً بسلطان المغرب أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني، فوعده بأن يؤمّن له الحماية اللازمة والرعاية الكافية، وأخذ منه عهداً بالإقامة في كنفه. عندئذ استأذن الغني بالله في تفقد الثغور، وسار إليها في لمة من فرسانه، ومعه ابنه عليّ، فمال إلى جبل طارق، فتلّقاه قائد الجبل، بناء على أمر سلطان المغرب أبي فارس المريني فأجاز إلى سبتة في جمادى الآخرة من عام 773 هـ، ثم توجه إلى فاس عاصمة الدولة المرينية فوصلها في التاسع عشر من رجب من العام المذكور، واستقبله السلطان أحسن استقبال، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء. وفي الشهر نفسه من السنة نفسها أرسل سلطان المغرب سفيره إلى غرناطة، فأتى بأسرة ابن الخطيب مكرّمة ، حينها وجه إليه القاضي النباهي تهمة الإلحاد و الزندقة و الطعن في الشريعة و الوقوع في جناب الرسول الكريم ، فأصدر فتوى بإحراق كتبه، فأحرقت في ساحة غرناطة، وصدورت أملاكه ، و استحثّ سلطان المغرب على تسليمه لإجراء العقوبة عليه فرفض.

### ت - وفاته:

و لما توفي سلطان المغرب أبي فارس في ربيع الآخر من عام 774 هـ ، فقد ابن الخطيب حاكماً مخلصاً يحميه من أعدائه ، و كان ابن الأحمر يتوق إلى الانتقام منه فبعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك تلميذ الخطيب و خلفه في الوزارة ليعمل على تحقيق هذه الرغبة بالتعاون مع حكومة فاس و وجهت إلى ابن الخطيب التهم القديمة التي وجهت إليه في غرناطة و صاغها القاضي أبو الحسن في قرار اتهمه و رأي السلطان أحمد أن يعقد مجلساً من رجال الدولة و الشورى.

استدعي ابن الخطيب إليه لمناقشته و مواجهته بالتهم المنسوبة في حقه و أخصها تهمة الإلحاد استناداً إلى ما ورد في بعض كتاباته و لا سيما بعض آراء و عبارات وردت في كتابه «روضة التعريف بالحب الشريف» ، فدرس عليه الوزير سليمان بن داود بعض من حاشيته فطرقوا سجنه ليلاً و معهم بعض الخدم الأندلسيين الذين جاءوا مع سفراء بن الأحمر و قتلوه خنقاً في سجنه و أخرجوا جثته في الغد و دفنت بالمقبرة الواقعة تجاه باب المحروق أحد أبواب فاس القديمة ثم أخرجت جثته في اليوم التالي و طرحت فوق القبر و أضرمت حولها النار فأحترق شعر الرأس ، و أسودت البشرة ثم أعيدت الجثة إلى القبر و تركت لتشوى الثواء الأخير و وقعت هذه المأساة الأليمة في ربيع الأول أو الثاني سنة 776 هـ.

## مدخل (تعريفات)

### ث - شيوخه:

تلقى ابن الخطيب علومه و برز في الطب و تولع بالشعر فنبغ فيه ، و فاق أقرانه ، و كان قد تتلمذ على شيوخ عصره ، و قد ذكرهم ابن الخطيب و ترجم لهم في كتبه ( الإحاطة ) و ( التاج المحلى ) و ( نفاضة الجواب ) و منهم : أبو عبد الله بن عبد المولى العواد ، أبو الحسن القيقاطي ، أبو القاسم بن جزى ، أبو الحسن علي بن الجياب ، أبو البركات بن الحاج ، قاضي الجماعة أبو عبد الله بن بكر ، أبو عمرو بن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، أبو القاسم بن سلمون ، أبو العباس بن يربوع السبتي ، أبو بكر بن شيرين ، ابن الفخار البيري.....

### ج - مؤلفاته:

لقد بلغت مؤلفات لسان الدين بن الخطيب بحدود ستون مؤلفا ، تنوعت بين المؤلفات التاريخية و الجغرافية و التراجم و السير و الأدب و الشعر و الفلسفة و الطب نذكر منها :

- الإحاطة في أخبار غرناطة .
- اللمحة البدرية في الدولة التّصّرية .
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان .
- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف .
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .
- السحر والشعر .
- ريحانة الكتاب ونبعة المنتاب .
- روضة التعريف بالحب الشريف .

و غيرهم الكثير من المؤلفات و لا سيما في التصوف و الفلسفة و يبدو أنه أحرق فيما أحرق بغرناطة سنة 773 هـ في حادثة رميه بالإلحاد و الزندقة من قبل أعدائه و حاسديه .

# الفصل الأول

## نشأة و تطور فن الرسالة (مقاربة تاريخية)

1 - العصر الجاهليّ

2 - العصر النبويّ

3 - عصر الخلافة الراشدة

4 - العصر الأمويّ

5 - العصر العباسيّ

6 - العصر الأندلسيّ

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

يعتبر فنّ الرسائل عند العرب من الفنّون الأدبية العريقة، أشرقت صفحاته فأضاءت تاريخ الأدب العربي ، وللوقوف على منزلة الرّسالة في التراث ومراحل نشأتها وتطورها ، وكيف وصلت إلى مكانة راقية وسامية بين فنّون النثر العربي يتطلب منا الوقوف على مراحل النشأة والتقدم وتسليط الضوء على خطوات التطور، والتي نستطيع من خلالها أن نكون فكرة واضحة وجلية عن بنائية هذا الفنّ وكيف انتهى إلى أقصى رفعتة عبر العصور المختلفة وهي:

- ✓ العصر الجاهلي
- ✓ العصر النبوي
- ✓ عصر الخلفاء الراشدين
- ✓ العصر الأموي
- ✓ العصر العباسي.
- ✓ العصر الأندلسي.

وقد كان لكل عصر منها خصائصه التي تميزه وسنركز على الجوانب الفنيّة للرّسالة ومميزاتها التي منحتها الصبغة الفنيّة الجمالية .

### 1 - العصر الجاهلي:

هناك من النقاد من ينكر وجود فنّ الرّسالة في العصر الجاهلي ولهم آراء ومنهم: رأي شوقي ضيف " إذا كنا نفتقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان"<sup>1</sup>، و يرجع السبب في ذلك إلى قلة الكتابة أو صعوبة وسائلها وقد شكك الدكتور زكي مبارك في صحة الرسائل والوثائق الجاهلية التي وصلت إلينا فقال: "والخطب والوصايا والرسائل التي نقلت إلينا على أنها جاهلية هي موضع شك "<sup>2</sup>.

و هذا الشك لعدم وجود أدلة مادية مكتوبة ، وكذلك كان نفس موقف طه حسين الذي ذهب إلى " أن النثر الفنيّ الجاهلي عموما قد تعرض للإهمال "<sup>3</sup>، ولم يكن حسين نصار بعيدا عن هذا الاتجاه ، إذ ذهب إلى أن الباحثين جميعا : " يتفقون على عدم وصول أية كتابة فنية حقيقة جاهلية إلينا وعلى الشك في الرسائل القليلة التي

<sup>1</sup> شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، دت ، ص 399

<sup>2</sup> زكي مبارك ، النثر الفنيّ في القرن الرابع الهجري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ص 46

<sup>3</sup> طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1973 ، ص 329

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

تبلغ العشر أو فوقها بقليل ، و وصلت إلينا في الكتب المختلفة<sup>1</sup> ، غير أن هذا لا يعني أن العرب في الجاهلية لم يعرفوا فنّ الرسائل إنما هناك رسائل كانت تبعث إلى الولاة للتبادل، وتوطيد العلاقات ومن المؤكد أن العرب في جاهليتهم استعملوا الرسائل بينهم للتعبير عن بعض شؤون حياتهم اليومية<sup>2</sup>، أي أن المكاتبات كانت وسيلتهم للتواصل آنذاك.

و هناك من يرى أن بذور الرسائل كانت موجودة في هذا العصر "فمن يقرأ أخبار الجاهلية في كتب الأدب أو كتب التاريخ يعجب لكثرة رسائلهم آنذاك، ويكاد يلمس أن كتابة الرسائل في الجاهلية أمر مألوف ميسور شائع في شتى الشؤون"<sup>3</sup> أي أن الرسائل كانت معروفة ومألوفة لدى الجاهلين واستعملوها بينهم خاصة للتعبير عن بعض الشؤون المتعلقة في حياتهم.

وقد كتبت بعض الرسائل في العصر الجاهلي على أدوات الكتابة الموجودة وقتها، ومن أبرز الرسائل نجد :  
"رسالة من قصي بن كلاب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة العذري في الشام، وتضمنت تلك الرسالة طلبا من قصي لأخيه كي ينصره في زعامته لمكة"<sup>4</sup>.

و مع إمعان النظر في الآراء السابقة يتبين أن الرسائل كانت موجودة دون أن تسمى بمسميات العصور اللاحقة لكنها لا ترقى إلى درجة النثر الفنيّ الناضج ، ولا تصل إلى مرحلة ظهور الجوانب الفنيّة لأدب الرسائل ، لكن البدايات الأولى وجدت، ومنها انطلق الناثرون والفنّيون في العصور اللاحقة إلى تأصيل النثر الفنيّ وما سيمثله من رسائل ، " و كان ممن عرف الكتابة من أهل البادية ، أكثم بن صفي حكيم تميم ، وخطيبها وابن أخيه حنظلة كاتب الرسول صلى الله عليه وسلم والمرقش الأكبر، ولبيد بن ربيعة ، وغيرهم ، كذلك فإنه من الثابت أن العرب في جاهليتهم استعملوا الرسائل بينهم عن بعض شؤونهم الحياتية."<sup>5</sup>

<sup>1</sup> حسين نصار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدّينية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2006 ، ص 27

<sup>2</sup> عبد العال محمد يونس ، في النثر العربي قضايا وفتون ونصوص ، الشركة المصرية للنشر، لوجمان ، الاسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 1996 ، ص 174

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 174

<sup>4</sup> ابن هشام، السيرة النبوية ، ج 1، ص 118

<sup>5</sup> عبد العال محمد يونس ، في النثر العربي قضايا وفتون ونصوص ، الشركة المصرية للنشر، لوجمان ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 1996 ، ص 174

### 2 - العصر النبويّ :

مع بزوغ فجر الإسلام استطاع النبي الأمي أن يغير الأمة من حال إلى حال، وأن يؤسس حضارة إسلامية وبينها بجيل من الصحابة الكرام لبناتها من التقوى والعلم والحكمة ، حيث دعا النبي الكريم إلى العلم و القراءة والكتابة إذ أنّ أول آية نزلت على النبي ﷺ تدعوا إلى القراءة والكتابة بالقلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾<sup>1</sup>

وإنما يدلّ على ما لفعل التّعلم من أثر كبير في رقي الأمم و الشّعوب و بلوغها قمم الحضارة و التّقدم وتعتبر وسيلة اتصال رئيسية من خلال القلم والتّعرف على الثقافات والعلوم، ومما لا شك فيه أن للإسلام أثر كبير في ازدهار الكتابة و رقيها، إذ أخذ فنّ الرّسالة يخطوا خطواته الأولى في هذا العهد.

ونجده في غزوة بدر الكبرى يطلب ممن يحسنون الكتابة والقراءة من كفار قريش الذين كانوا أسرى في يد المسلمين أن يعلموا عددا من أبنائهم لقاء فدائهم، وما ذلك إلا لخطر الكتابة وأهميتها وعظمة شأنها ، وقد اتخذ النبي ﷺ كتابا يكتبون له القرآن ، ويكتبون رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، و زعماء المناطق ، وملوك الدول كما فعل مع كسرى عظيم الفرس، وقيصر عظيم الروم و المقوقس عظيم القبط في مصر ، والنجاشي ملك الحبشة، و وائل بن حجر في حضرموت...

وإن أدنى قراءة للسيرة النبوية توضح وجود الكتب والرسائل التي بعث بها إلى الملوك والحكام وهي تدخل تحت نوع و اسم الرسائل الديوانية ، لأنها صدرت عن إمرة الحاكم آنذاك وهو الرسول ﷺ ، و لم يكن لا الشعر ولا الخطابة قادرين على أداء الدور الذي تؤديه الرّسالة حين تنقل ما يتصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية أو توجيهات أو تعليمات إدارية حول الحروب والغزوات، ومن هذا المنطق التاريخي نafs الكاتب الشاعر والخطيب وأصبح له منزلة خاصة وتدور مواضيع تلك الرسائل حول عرض الدعوة الإسلامية، والتوحيد الخالص.

وجاء في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي: "سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسوله ، وإني أدعوك و جنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> . سورة العلق، الآية 1-4

<sup>2</sup> محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1987 ، ص77

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

ولقد كتب الرسول محمد ﷺ إلى طائفة من الملوك منهم قيصر ملك الروم و هودة بن علي صاحب اليمامة، و المقوقس ملك مصر، وكسرى ملك فارس، وإلى غيرهم من سائر الأمراء و رؤساء القبائل، سواء بغرض الدعوة اعتناق الدّين الجديد أو بغرض الصلح بين الأطراف المتنازعة، ويأتي نص رسالته إلى قيصر ملك الروم كما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين" <sup>1</sup>

لقد كانت الرسائل في طابعها العام في السنوات الأولى من الهجرة النبوية المحمدية وصولاً إلى السنة الخامسة تتميز بمجموعة من الخصائص والسمات «تتجلى في الميل إلى البساطة والسهولة في التعبير عن المضامين والبعد عن لغة الإنشاء البديعي لتخطوا خطوة نحو الأمام، بتقدم السنين حيث ظهرت فيها بعض الملامح المكونة للرسالة كالمقدمة العرض والخاتمة...» <sup>2</sup>.

وما يمكن قوله أن الهدف من وراء رسائل الرسول محمد ﷺ كان دعويًا، والجانب الفني كان تحصيل حاصل حيث كان همه إرساء قواعد الدّين الجديد، ونشره إلى أقصى البقاع ، و الذي يطالع رسائله ﷺ يلحظ أيضا التشابه في نص الرسائل ذات الموضوع الواحد، وإن اختلف الكاتب، فمثلا رسائل الأمان التي كتبها سيدنا علي بن أبي طالب ، أو التي كتبها معاوية بن أبي سفيان كلها متشابهة شيئا يشبهها يكاد يكون تاما ، " فالمهم هو إفهام المرسل إليه فيما يريدون من معان بأسهل أسلوب، ولا نستطيع أن نطلق على كتاباتهم هنا اسم الكتابة الفنيّة ، لأنّها مرتحلة سريعة مملّاة ، بلغة سهلة هي لغة الحديث " <sup>3</sup>.

### 3 - عصر الخلافة الراشدة:

#### أ - عهد أبي بكر الصديق :

بعد أن توفي الرسول ﷺ وأكمل الله نعمته ودينه على المسلمين ، وقد أدى النبي الأمانة أحسن أداء ، استلم الراية صديقه أبو بكر الصديق ، ولكن أمورا عظيمة اعترضت أبا بكر أهمها مشكلة الردة وما تبعها من ذيول ، حيث وجه أبو بكر أحد عشر جيشا لقتال المرتدين وأرسل رسالة فقال: "فإني أوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصييكم من الله، وما جاء به نبيكم ﷺ ، وأن تهتدوا بهديه، وأن تعتصموا بدِين الله ... فمن هداه

<sup>1</sup> صفى الرحمان المبارك فوزي، الرجيق المختوم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1414 هـ، 2003م، ص253

<sup>2</sup> صلاح الدّين الهادي ، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1407 هـ 1987م، ص142-143

<sup>3</sup> حسين نصار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدّينية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2006 ، ص 46-47

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

الله كان مهديا، ومن أضله كان ضالا " <sup>1</sup> . كما أرسل الصديق رسائل إلى بعض الصحابة و من ذلك رسالة إلى أبي عبيدة بن الجراح قائد جيش الشام يقول فيها : "إني قد وليت خالدا قتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره ، فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه لكن ظننت أنه له فطنة في الحرب ليست لك " <sup>2</sup> .

و لقد أرسل الخليفة أبو بكر الصديق العديد من الكتابات وهي مذكورة في كتب التاريخ الإسلامي وتدّل بغض النظر عن محتواها وفحواها عن وجود فئات في عهده تعرف القراءة والكتابة، و كان آخر ما كتبه عهده لعمر وفيه يقول: (إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بثر وعدل فذلك علمي به، ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والغير فلكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

إذا فرسائل أبو بكر الصديق تتسم في ظاهرها وهيكلها العام بالشبه الكبير بينها وبين رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم ، و رسائله في أمر الردة تستفتح بالبسملة وذكر اسم المرسل والمرسل إليه مع التذكير بالله و تقواه ومحافته وتوضيح البعض من الآيات والذكر الحكيم، وعليه فإن الخليفة كان يقلد الرسول الكريم في كتاباته.

### ب - عهد عمر بن الخطاب :

و حين آلت الخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب و أخذت تتسع رفعة الدولة الإسلامية فتمت في عهده فتوح إيران و الشام ومصر و بذلك اشتدت الحاجة إلى الكتابة لتكون وسيلة اتصال بين خليفة المسلمين في عاصمته - المدينة المنورة و بين أمراء جنده و ولاته، و عماله الموزعين على مختلف الأقطار الإسلامية

وبينت الرسائل حرص الخليفة على متابعة الجيوش ومتابعة الأحداث، ومعرفة طبيعة العدو وطبيعة التضاريس البيئية ، ومن ذلك رسالته إلى سعد بن أبي وقاص قبيل معركة القادسية يقول فيها : " و أكتب إلي أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم، فإنه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي ما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم نصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها واجعلني من أمركم الجلية " <sup>3</sup> .

و شملت الرسائل العمرية أيضا مختلف النواحي الإدارية للدولة وتنظيم أوضاع البلدان التي ضمت زمن الفتوح ، وأسس التعايش بين العرب وأهل الذمة إلى جانب توجيه حكام المناطق لسياسة الرعاية سياسة حكيمة ، فقد كتب عمر إلى موسى الأشعري عامله على الكوفة يقول: " أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران

<sup>1</sup> محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1987 ، ص178

<sup>2</sup> أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص142

<sup>3</sup> المصدر السابق ، ص212

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

أحدهما لله والأخر للدنيا فأثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفذ والآخرة تبقى وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا ، ورجلا رجلا، و عد مرضى المسلمين ، و أشهد جنائزهم، و افتح لهم بابك، و باشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ... و أعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيتة وأشقى الناس من شقى به الناس " <sup>1</sup> .

وفي هذه المرحلة نلاحظ فيها تعدد الكتاب و الذي يدل على حركة نشطة في ميدان الكتابة ، وهذا ما أدى إلى إيجاد طبقة من الكتاب كان لهم الدور في السير بالكتابة إلى المرحلة الفنيّة ، ويقول الدكتور طه حسين : " ومع أنني لست واثقا من أن النصوص قد صدرت عن سيدنا عمر كما هي ، فما من شك عندي أن سيدنا عمر أيام خلافته كان أقدر على تسخير اللغة من أيام خلافة سيدنا أبي بكر و النبي صلى الله عليه وسلم " <sup>2</sup> ، هذا وقد شهدت خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ازدهارا واسعا لفنون الرسائل وكثرت مكاتباته .

### ت - عهد عثمان بن عفان :

و جاء عصر ذو النورين الذي هو امتداد للخلافة النيرة ، وكان مروان ابن الحكم كاتباً لعثمان ، كما يعد موضوع الفتنة من أهم المواضيع التي تناولتها رسائل عثمان بن عفان، فكتب عثمان إلى معاوية يقول: "إن الفتنة قد أخرجت خطمها ، وعينها، فلم يبق إلا أن تنكأ القرح ، وجهاز أبا ذر إلي وابعث معه دليلاً وزوده وأرفق به وكفكف الناس و نفسك ما استطعت" <sup>3</sup>.

انقسم المسلمون فرقا وشيعا ، " وكان من أثر ذلك كله أن غزت الكتابة ميادين الحرية والخصومات وما نجم عنه من جدل واحتجاج، وتبادل المطاعن أو إبراز المناقب فظهر التنميق والتأنق على صورة أوضح في الرسائل المتداولة في أواخر عهد عثمان " <sup>4</sup> ، فمن الطبيعي أن تكون هذه الصراعات مجالا خصبا لنمو فنّ الرسائل حيث تتسع مجالاتها وتنوع موضوعاتها وأفكارها تبعا لتغير وتطور نمط الحياة وتبعاً لمجريات الأحداث السياسية التي وقعت في البلاد الإسلامية ، أما خصائص رسائله فلا تختلف كتبه و رسائله عن سابقه كثيرا فإنه لم تظهر بها أي صنعة أو تكلف أو تأنق ، ألفاظه سهلة موافقة للمعنى ، جملها أكثر إثارة لنفوس المستمعين لأنه يريد بها أن ينهض بهم ، ويستملهم علمهم يرقون بهمهم .

### ث - عهد علي بن أبي طالب :

<sup>1</sup> محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1987 ، ص 356، 223

<sup>2</sup> طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، ص 42.

<sup>3</sup> أحمد زكي صفوت، جبهة رسائل العرب، ج 1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971، ص 263

<sup>4</sup> واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، دت ، ص 192

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، تستمر الفتنة في المجتمع الإسلامي ، وبويع سيدنا علي بن أبي طالب خليفة بعده ، وكثرت الرسائل نتيجة كثرة الخصومات بين سيدنا علي ومعاوية بن أبي سفيان ، وتشتد الفتنة أكثر وتلقي ظلالها على الحكم الإسلامي وقتها، وتميزت المكاتبات و المراسلات بالطول وتسير أحيانا إلى نهج رسائل سيدنا عثمان بن عفان.

و عمد علي بن أبي طالب على اتهام معاوية بأنه متبع للهوى منقاد لرأيه لا يتوب إلى رشد، و حاول ثنيه عن عزمه في المطالبة بالخلافة فكتب إليه يقول : " فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجون الله وقارا... وإن دنياك ستدير عنك وستعود حسرة عليك ، فأقلع عما أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنك، وفتاء عمرك ..فاتق الله يا معاوية في نفسك ، و جنب الشيطان قيادك ، فإن الدنيا منقطعة عنك، و الآخرة قريبة منك " <sup>1</sup>.

" ولعل أطول نص مكتوب في صدر الإسلام ذلك الذي كتبه الإمام علي كرم الله وجهه إلى الأشتر النخعي حين ولاه على مصر وأعمالها حيث بلغ حوالي ثماني وعشرين صفحة ... و الكتاب آية في البلاغة والفصاحة و غزارة المعاني وصدق اللهجة " <sup>2</sup> ، حيث تتجلى معالم التطور في الرّسالة .

و كان علي بن أبي طالب يكتب إلى رعيته ، فكانت رسالته إليهم بيانا لما كان يجري آنذاك من وقائع وأحداث، والعمل على إصلاح الفاسد ما أمكن، ومما قاله لجنده: "إنكم وزعة الله في الأرض، فكونوا له أعوانا ، ولدينه أنصارا، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، إن الله لا يحب المفسدين"<sup>3</sup> ، ونستطيع القول أن جل موضوعات رسائل علي بن أبي طالب كانت صورا حية لكل مناحي الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية ، مستعينا فيها ببلاغته و لغته و بفصاحته .

وفي ختام مرحلة الخلفاء الراشدين نلخص إلى ميزات مهمة للرسائل وقتها وهي تأثر الكتاب بالقرآن الكريم والاقتراس منه ، وتجنب الغريب من الألفاظ مع الحرص على وضوح المقصد ، والإقناع مع التنوع في الأساليب و بلاغتها لفظا و معنى ، كما و كان الإكثار من الحجج و البراهين للإقناع، و الميل إلى الإيجاز مع اقترابها من اللغة الخطابية ، و وجد الاعتناء بتهذيب الألفاظ والتأنق في صوغ العبارات ومحاكاة أساليب الكتاب والسنة بالإضافة إلى ترتيبهم للمعاني والأفكار دون تغلغل فيها ، وقد ظهر الإيجاز في أول هذه الفترة ، والميل إلى الإطناب آخرها ، و كانت الكتابة في هذه الفترة ليست لها تقاليد مرسومة أو قواعد محكمة ، لغتها بسيطة صريحة تشبه لغة الحديث

<sup>1</sup> أحمد زكي صفوت، جهرة رسائل العرب، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص 420-421

<sup>2</sup> واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، دت ، ص 192

<sup>3</sup> أحمد زكي صفوت، جهرة رسائل العرب، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص 463

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

، ويقصد منها الإفهام ، ولم تتطوّر لغة الرسائل كثيرا مع شيوع نظام الإملاء حيث يفسح الطريق لإبراز شخصية الكاتب ولتجويده وتفننه ، وقد وجدت ظواهر عدة تدلّ على تطوّر الكتابة ومع ذلك لم تكن الكتابة فنية بالمعنى المصطلح عليه، ولكنها كانت تسير نحو الفنّ بخطى حثيثة .

### 4 - العصر الأمويّ:

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وكثرت موارد الدولة فمع مجيء العهد الأموي نشطت وازدهرت الكتابة وذلك نتيجة اهتمام الولاة والأمراء بها، فاحتاجت الدولة إلى إنشاء الدواوين وكان انتشارها قد بدأ في عهد عمر بن الخطاب و الذي أنشأ ديوان العطاء فلما جاء الأمويين أوجدوا دواوين أخرى كديوان الرسائل وديوان الخاتم، وبعد أن كانت الرسائل يغلب عليها الإملاء من قبل الملوك والولاة، أصبح الكاتب في هاته المرحلة مستقل وظهرت شخصيته و " قد تطوّر في أواخر العصر الأموي حتّى نرى (قبيضة بن دؤيب) يفحص الكتب الواردة على عبد الملك بن مروان ويقرؤها قبل عرضها على الخليفة"<sup>1</sup> ، حيث تعد هذه بداية مهمة في تاريخ تطوّر كتابة الرسائل بين الكتاب والملوك، و أما أنواع الرسائل في العصر الأموي فقد تنوعت بين الديوانية والشخصية بمختلف مواضيعهما التي تعالج إدارة وشؤون الدولة و حياة المجتمع الأموي. فنجد:

### أ - الرّسائل الديوانية :

و تسمى السياسية ، التي شغلت حيزا واسعا بسبب كثرة الأحزاب السياسية والفتن و الثورات و الأحداث، و التيارات الفكرية، ومن ذلك الرّسالة التي كتبها معاوية إلى زياد بن أبيه فقال: "لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرفقة والرحمة ، فيستريح الناس فيما بيننا "<sup>2</sup> . و من موضوعات الرسائل الأموية أيضا ، تنبيه الخارجين عن الدولة و تحذيرهم، و وعظهم فقد كتب المهلب والي خرسان إلى ابن الأشعث الثائر على السلطة الأموية يقول: "إنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، الله الله فانظر لنفسك لا تملكها، و دماء المسلمين فلا تسفكها، و الجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها فإن قلت: أخاف الناس على نفسي، فالله أحق أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم ولا استحلال محرم "<sup>3</sup>

<sup>1</sup> حسين نصار ، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2006 ، ص 64

<sup>2</sup> أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص 534

<sup>3</sup> المصدر السابق، ج2، ص 222

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

إضافة إلى ذلك نجد موضوعات الحرب و الشكر، ناهيك عن موضوعات أخرى كالتولية و العزل، كما أخذ موضوع الاقتصاد جانبا مهما من جوانب الرسائل الديوانية الأموية كالجزية و الخراج و العشور و العطاء و الأرزاق .

و قد ساعدت الدواوين على تنظيم العمل في المراسلات و من بينها

### • ديوان الرسائل:

أنشأه معاوية بن أبي سفيان سنة 41 للهجرة وهذا الديوان دليل تحضر الدولة واستقرارها ورفيها ، قال القلقشندي : " فأوائل الدول القريين عهدا بالبادية لا عناية لهم بكتابة الإنشاء وإذا استحضرت الدولة صرفت اهتمامها إلى ديوان الإنشاء ترتيبه " <sup>1</sup> ، ويتفرغ متولي ديوان الرسائل للكتابة بتكليف من الخليفة أو الوالي ، و هي تتعلق بشؤون الخلافة والإدارة والحياة العامة للمجتمع وقضاياها .

### • ديوان الخاتم :

كانت الرسائل تختم خوفا من حدوث التزوير، و " أول من رسم هذا الديوان هو معاوية ، وكانت بنو أمية لا تولي الخاتم إلا أثق الناس عندها " <sup>2</sup> .

### • ديوان البريد:

كان معاوية بن أبي سفيان أول من أمر بوضع هذا الديوان ، لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها ، و مهمة هذا الديوان هي نقل الرسائل و إيصالها وهو تابع لديوان الرسائل ويتألف من إدارة مركزية في مركز الخلافة تستلم ما يرد عليها من الكتب بعد خروجها من ديوان الرسائل وديوان الخاتم ، ويتم تثبيت المعلومات الخاصة بكل رسالة في سجلات خاصة ، وكان لكتاب الدواوين مكانة راقية كما أكد عمر فروخ " أن متولي الرسائل آنذاك أشبه برئيس الوزراء أو الوزير الأول في أيامنا " <sup>3</sup> .

## ب - الرّسائل الشخصية الإخوانية :

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة مصورة بدار الكتب العلمية ، ج1، ط1 ، ص94

<sup>2</sup> أبو بكر الصولي، أدب الكتاب، المكتبة العربية، بغداد، العراق، دط ، دت، ص141

<sup>3</sup> عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج، دار العلم للملايين ، لبنان ، ج6 ، ط1 ، 1981 ، ص4

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

نظرا لاتساع الخلافة الأموية و وجود علاقة بين أفرادها ، كانت الرسائل الشخصية سواء بين الأقارب أو الأصدقاء أو بين الخصوم أو بين الأتباع و المتبوعين ، ففي هذه الرسائل كل علامات الوداد والمحبة ، كما يوجد بها الخصام والشحناء و نجد موضوعات كثيرة نذكر أهمها:

### • التهناني والتعازي :

رسائل التهنئة والتعزية من الرسائل الإخوانية التي تعمق الصلات بين أفراد المجتمع لما فيها من بث لمشاعر الفرح والسرور، والألم والحزن، وقد جمع الضحاک بين الموضوعين في رسالة واحدة بعث بها إلى يزيد بن معاوية حين تولى الخلافة ، فقال : "فأما بعد، فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة ، فأما التهنئة فالخلافة التي جاءت عفوا ، و أما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية ، فإننا لله وإنا إليه راجعون " <sup>1</sup> .

### • الوعظ والتذكير :

حيث كتب عمر بن عبد العزيز حين تولى الخلافة إلى ابنه عبد الملك - وكان في المدينة المنورة - يوصيه ويعظه و يذكره ببعض الحقائق و الإرشادات فقال: "إن استطعت أن تكثر من تحريك لسانك بذكر الله تحميذا و تسبيحا وتهليلا فافعل ، و إن أحسن ما وصلت به حديثا حسنا حد الله وشكره ، و إن أحسن ما قطعت به حديثا سيئا حمد الله وذكره " <sup>2</sup> .

### • الشكوى :

سنورد رسالة في الشكوى للحجاج حين تناول على الصحابي أنس بن مالك فكتب أنس إلى الخليفة عبد الملك يشكو إليه الحجاج ، و يستنصره عليه فقال : " إن الحجاج قال لي نكرا و أسمعني هجرا و لم أكن لذلك أهلا فخذ لي على يديه و أعدني عليه " <sup>3</sup> ، ففي الرسالة تظهر كلمات الشكوى للخليفة عبد الملك أن الحجاج قد قال له نكرا و أسمعني ما لا يرضى وهو ليس أهلا لذلك فطلب النصرة .

و قد اتسمت تلك الرسائل بالإيجاز و الإطناب بحسب الغرض و الموضوع و تميزت بوضوح العبارات ، و بدت العفوية في معظمها بينما بعضها الآخر اتصف بالتروي و التأني في كتابة الرسائل، وصياغة معانيها و الملاحظ على عباراتها وألفاظها أنما اتسمت بالفصاحة وطلاقة اللسان ، مع وجود اللحن والخطأ و ذلك

<sup>1</sup> أبو المؤيد الخوارزمي: مقتل الحسين، ج1، تح: شيخ محمد سماوي، مطبعة أنوار الهدى، إيران، ط1، 1418هـ، ص 178

<sup>2</sup> أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971، ص366

<sup>3</sup> أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تصحيح فلادمير جرجاس، مطبع تريب، ليبدن المحروسة، ط1، 1988، ص 324

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

للاختلاط والامتزاج إثر الفتوحات التي شهدتها الحضارة الإسلامية. ومع ظهور معالم الصناعة في فنّ الكتابة حيث الإطالة و السجع و المقابلات والتصوير ، ونبوغ الكتاب في فنّ الرسائل الإخوانية والديوانية. و قبل أن ينقضي العصر الأموي ، وتتربع على عرش الخلافة دولة بني عباس ، أصبحت الرسائل صناعة قوية ذات قواعد وأصول، وأصبح للرسالة مطالع فيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم، أو توجه إليهم، ولها خواتيم تختلف بحسب الموضوع .

### 5 - العصر العباسي:

إذا انتقلنا إلى العصر العباسي عصر الازدهار والتطور والرقى وبعد أن استقر بنو العباس احتاجت الدولة إلى الكتاب والشعراء والأدباء، لتلبية حاجات المجتمع فظهر الكتاب يتحلون بالثقافة الكبيرة وعمق الأفكار حيث "راحت الرسالة في هذا العهد تتطور أيضا وقد خرجت شيئا فشيئا عن كونها حديثا يهدف إلى التفریح عن القلوب أو التوصية أو ما إلى ذلك، وانزلت في تيار الزخرفة والتصنع حتى أصبحت ميدانا لإظهار البراعة"<sup>1</sup> لقد نشطت الكتابة و انشغل بها عدد كبير من الكتاب كونها تعود عليهم بالفائدة و أرزاق كبيرة فقد " كان الكاتب في دواوين الدولة إذا أظهر نبوغا ارتقى سريعا و ما يزال يرتقي حتى يصبح رئيس مجموعة من الدواوين و قد يصبح وزيرا يتدبر أمور الدولة كلها فإن فاتته الوزارة أصبح واليا لمدينة كبيرة مثل: إبراهيم بن المدبر الكاتب ومحمد بن عبد الله بن طاهر و أخيه عبد الله..."<sup>2</sup> ، و أصبح للكاتب مكانة مرموقة ومحترمة في المجتمع و لعل هذا سبب في النهوض بالكتابة لفنّ الرسائل حتى بلغت ذروتها .

و السبب الثاني هو انتشار الفنّ التي ساعدت على بروز فنّ الرسائل وإعلاء رايته، فقد شق طريقا عريضا بخطوات واسعة، وأثبت هذا الفنّ أنه يستطيع مواكبة الأحداث السياسية، ومنازعة الشعر، و ازدهرت وتنوعت الرسائل العباسية وظهرت طبقة من الكتاب والأدباء لهم باع طويل في هذا الشأن، و غدا لهم مؤهل للوصول إلى الوزارة ، ونستحضر في هذا المجال أسماء مثل: خالد البرمكي و جعفر بن عبد الملك الزيات ، وأحمد بن يوسف الكاتب ، و ابن العميد و الصاحب بن عباد ، و عبد العزيز بن يوسف، و ضياء الدين بن الأثير.. وغيرهم ممن تميزوا بصفاء ثقافتهم و شساعتها ، و معانيهم المرتبة ترتيبا دقيق ، ذات تنميق و ديباجة و ذلك لتترف العيش و بذخه .. و طرأت على الكتابة العباسية عدة تغيرات ، لتغير أعمال الدواوين و موضوعاتها وقد وصلت في هذه المرحلة إلى أرقى ما وصل إليه الإنشاء العربي ، و قد تنوعت الرسائل في العصر العباسي إلى :

<sup>1</sup> حنا الفاخوري ، الجامع في التاريخ العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م ، ص 641

<sup>2</sup> شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، ج 2 ، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط12، 2001م ، ص 550

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

### أ - الرّسائل الديوانية:

بسبب كثرة الكتاب و وجود التنافس بينهم و تزاخم الثقافات و تعددها ، كان له الأثر البالغ إلى جانب المادة الأدبية الفارسية التي نقلت بفضل الترجمة ، ففاضت بزخم كبير على الأدب العباسي، و برزت ثلاثة دواوين رئيسية في العصر العباسي وهي :

#### • ديوان الرّسائل :

يتولى هذا الديوان مكاتبة الأمراء و الملوك عن الخليفة ، و قد ذكر ابن خلدون في مقدمته أهم الصفات التي ينبغي للكتاب الاتصاف بها فقال: " و أعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير أرفع طبقات الناس، و أهل المروءة و الحمة منهم ، و زيادة العلم و عارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك و مقاصد أحكامهم، من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب و التخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه في الترسّل، و تطبيق مقاصد الكلام من البلاغة و أسرارها"<sup>1</sup>، فابن خلدون يركز على صناعة الكتابة و وجوب إتقانها من لدن كاتب الرّسائل ، فإذا توافرت الشروط في كاتبها دخل في زمرة المرموقين الذين وصفهم الجاحظ بقوله : "إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة و المعاني المنتخبة ، و على المخارج السهلة و الديباجة الكريمة و على الطبع المتمكن ، و على السبك الجيد ، و على كل كلام له ماء و رونق ، و على المعاني ، إذا صارت في الصدور عمرتها ، و أصلحت من الفساد القديم ، و فتحت للسان باب البلاغة ، و دلت الأقلام على مدافنّ الألفاظ و أشارت إلى حسن المعاني"<sup>2</sup>.

#### • ديوان البريد:

و تطوّر هذا الديوان في عهد بني العباس ، و أصبح أكثر تنظيماً و أشد سرعة ، و قد أنشئت له محطات جديدة تساعد على إيصال الرّسائل بسرعة قصوى ، و لهذا الديوان مهمة خطيرة، لأنه يقوم بالأعمال الموكولة لرئيس إدارة المخابرات العامة في الدولة الحديثة ، فهو ينقل أوامر الخليفة إلى العمال و المتولين ، كما ينقل أخبار ولاته إليه ، و هذا التطوّر الذي لحق بديوان البريد زاد من أهميته و رفع مكانته ، فقد حقق للخلفاء خدمة جليلة و رفع شأن الكتابة الفنيّة .

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، دت ، ص273

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، تح و شرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط5 ، 1998 ، ص24

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

### • ديوان المظالم :

و هو بمثابة هيئة قضائية عليا ، تشبه محكمة الاستئناف و النقض و الإبرام ، كما تشبه إلى حد غير قليل المجالس التأديبية ، و يسمى رئيسه "صاحب المظالم" ، " و كان الكتاب يكتبون أقوال الخصوم ويشتون ما لهم من الحقوق و ما عليهم من الواجبات و العقوبات ، كما تشجع الناس على تقديم شكواهم ضد الظالمين و المنحرفين من الولاة و عمال الخراج و غيرهم طلبا للإنصاف وتحقيق العدالة"<sup>1</sup> ، و قد كان لهذا الديوان دور رائد في تطوير فنّ الكتابة و دفعها للنشاط ، تنافست عليها الكثير من الأقلام لما تدره عليهم من الأرزاق .

و قد حافظ كتاب الرسائل على معظم الصفات التي أوجدها ترسل عبد الحميد الكاتب ، و بقي الأمر كذلك حتى أواخر الصناعات اللفظية ، و بدأت تنقلب تدريجيا لتغلب الأعاجم على السلطان ، و تعددت أغراض وموضوعات الرسائل في العصر العباسي، على اختلاف أنواعها ، الرسمية والشخصية منها ، و تقتصر على ذكر أهمها.

### - التولية بالعهد:

من عادة حلفاء بني عباس تولية الخلافة إلى أبنائهم ، مما كان يسبب فتنة شديدة ، و قد عهد الخليفة العباسي المأمون بالولاية من بعده لعلي بن موسى الرضي، فذكر واجبات الخليفة إزاء رعيته ، و واجبات الرعية اتجاه الخليفة ، و بين أن الهدف من ذلك هو كسب رضا الله تعالى ، و العمل بالكتاب و السنة و إقامة الحق و العدل ، و أطلق المأمون على ولي عهده لقب الرضي ، تيمنا بحصول الخير على يديه ، و أن يكون مرضيا عند الله و لدى الناس، و هذه الأفكار العامة هي لب الرّسالة التي يقول فيها: " و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاحتر بشاعة مذاقها وثقل محملها وشدة مؤونتها، و ما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله و مراقبته فيما حمله منها ، فانصب بدنه وأسهر عينه و أطال فيما فيه عز الدّين، و قمع المشركين ، و صلاح الأمة و نشر العدل و إقامة الكتاب والسنة ، و منعه ذلك من الخفض و الدعة بهنيء العيش ، علما بما الله سائله عنه ومحبة أن يلقي الله مناصحة في دينه و عباده"<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> أبو العباس المبرد، الكامل، ج 3، تح محمد أحمد الدّالي ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1993 ، ص 321-322

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج 9 ، طبعة مصورة بدار الكتب العلمية ، ط 1 ، ص 364-365

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

- البيعة:

هي العهد على الطاعة ، " و كان المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه و أمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه " <sup>1</sup> ، و قد صدرت في العهد العباسي رسائل البيعة بكثرة ، منها: بعد موت الخليفة المتوكل - 247هـ صدرت رسالة البيعة للمنتصر بالله أمير المؤمنين و في مطلعها " تبايعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين، بيعة طوع واعتقاد ورضا ورغبة " <sup>2</sup> و الملاحظ أنّها رسائل موجزة تتحرى الدقة في التعبير و الوضوح ، حتّى يحسن فهمها و يصل معناها للمرسل إليه.

- التهديد و الوعيد:

عند خطأ وال ما فإن الخليفة يقف له بالمرصاد ، و يرأسله و يلزمه حده ، و يبادر إلى إصلاح ما بدر من خطأ ، و من أمثلتها ما وجدناه في رسالة بعث بها محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات وزير المعتصم و الوثائق إلى أحد الولاة منذرا مهددا: " و لا تخلو من إحدى منزلتين، ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة، و لا يزيل لائمة، أما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، و إما مظاهره لأهل الفساد ومداهنة لأهل الرب، و أية هاتين كانت منك محلة الذكر بك ، و موجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك أمير المؤمنين من الأناة و النظرة و الأخذ بالحجة و التقديم في الأعذار و الإنذار ، على حسب ما أقلت من عظيم العثرة ما يجب اجتهادك في تلافي التقصير و الإضاعة " <sup>3</sup> .

ب - الرسائل الاخوانية:

سار أدباء العصر العباسي سير غيرهم من الأدباء و الكتاب فأعطوا صورة جلية عن مجتمعهم و أفكارهم و نمط عيشهم إيجابا أو سلبا ، و لعلنا نذكر أهم الموضوعات والأغراض في الرسائل الإخوانية و هي :

• التهنية :

حرص كتاب العصر العباسي على إرسال تهنئتهم إلى أهلهم أو أصدقائهم و ذويهم ، و أظهرها فرحهم و سرورهم و بهجتهم ، و شاركوا غيرهم أفراحهم لأن الحياة تقوم على مبدأ المشاركة و التفاعل و الإحساس بالغير فرحا أو حزنا ، التي تدلّ على اهتمام المجتمع العباسي بالرسائل الشخصية ، لتكوين علاقات و توطيدها بينهم.

<sup>1</sup> ابن خلدون، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، دت ، 231

<sup>2</sup> الطبري، تاريخ الطبري، ج9، تح نجة من العلماء، مطبعة بريل لبيدن، 1879 م، ص237

<sup>3</sup> احمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج4، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص41

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرسالة (مقاربة تاريخية)

### • التعزية:

وقف كُتّاب العصر العباسي موقف مناسباً في رسائل التعزية ، إذ عرضوا أحزانهم و شاطروا الطرف الآخر في المصيبة ، و من رسائل التعزية ما كتب إسحاق بن الخطاب أحد البلغاء العباسيين في تعزية الهزبر بن صبيخ بوفاة أبيه و حاول إسحاق إدخال الصبر إلى نفس الهزبر و دعاه للصبر و الرضى بقضاء الله فيقول: " وهذا أوان اختبار الله إياك بشكر ذلك ، و إقرارك بالحجة عليه فيما كنت به محتجاً على غيرك ، و دليلاً عليه مما ذكر الله لأهل الفضل ، و وعدهم إياه على ما رضى من القول عند وقوع قضائه و قدره ، و ما أخبر به خلقه و بلاهم بحسنة وسيئة ، و حلوه و مره " <sup>1</sup> .

### • الهدايا :

كانت الغاية الكبرى من إرسال الهدايا في العصر العباسي إلى الخلفاء و الوزراء و قادة الجيش و ولاية الأقاليم و غيرهم هي النفع و التعبير عن الشكر، و كانت تبعث مع هذه الهدايا رسائل لتأييد المودة ، و من بين الهدايا التي أرسلت معها رسالة ، كانت من أحد الفقراء إلى الوزير يحيى البرمكي حيث عزم على ختان أحد أولاده فأهدى إليه وجوه الدولة و أغنياها كل بحسب حالته و قدرته ، إلا أن رجلاً فقيراً أحب المشاركة فصنع وعاءين من جلد ، و ملاً أحدهما ملحاً مطيباً و وضع في الآخر نباتاً معطراً و كتب معهما لو تمت الإرادة لأسعفت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين إلى خدمتك ، و أتعبت المجتهدين في كرامتك و لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة وقصرت بي الجدة عن مباحاة أهل المكنة ، و خشيت أن تطوى صحيفة البر و ليس فيها ذكر ، فأنفذت المفتتح بيمينه و بركته ، و هو الملح و المختتم بطيبه ونظافته و هو السعد باسطة يد المعذرة صابراً على ألم التقصير متجرعاً غصص الاقتصار على اليسير.

### • الاعتذار:

عرف العصر العباسي رسائل الاعتذار ، و غالباً ما كانت تجري بين الأصدقاء و غالباً ما تكون رسائل الاعتذار بين الأشخاص الذين علاقتهم طيبة ، يحاول من خلالها كاتبها استمالة الطرف الآخر ليحل المودة والمحبة من جديد محل البغض والكراهية ، وقد عرف العصر العباسي كغيره من العصور رسائل الاعتذار، ومنها ما كتبه يوسف بن القاسم - والد الكاتب أحمد بن يوسف وزير المأمون - معتذراً إلى محمد بن زياد الحارثي الشاعر، و قد عاتب محمد يوسف على تأخير عرض حاجته على الخليفة هارون الرشيد ، فقال بن القاسم رداً على عدله و

<sup>1</sup> أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج3 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971، ص286

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

ملامته : "صدقت وتعديت ، فأما صدقك ففي تخيري ، و أما تعديك ففي عذلي عليه ، و إنما طلبت وقتا أصادف فيه طيب أنفس ، و طلاقة وجه ، فيمكنني القول - قبل عرض الحاجة في تقريضك بما لعله أن يميل إليك قلبه ، و ظننت أني أحرمتها توانيا فتعديت " <sup>1</sup> .

### • الشكوى :

كثبت رسائل الشكوى للتخفيف عن النفس و الترويح عن همومها مما يعانونه من وطأة الحياة و متاعبها ، و تعددت تلك الرسائل في العصر العباسي، و اتسعت دائرة مواضيعها و أغراضها ، و منها ما كتبه الجاحظ يصور أحواله لأحد أصدقائه ما يجد من المآزق النفسية و الضغوط الخارجية فقال : "كتبت إليك و حالي حال من كثفت غمومه ، و أشكلت عليه أموره و اشتبه عليه حال دهره ، و مخرج أمره و قل عنده من يثق بوفائه أو يحمد مغبة إخوانه ، لاستحالة زماننا، و فساد أيامنا " <sup>2</sup> .

### • الشوق :

في الشوق تظهر المشاعر التي يحسها الكاتب اتجاه أصدقائه و أحبته ، ولأحمد بن يوسف الكاتب العباسي المعروف رسالة إلى أحد أصدقائه يشكو شوقه إليه فقال: "شوقي إليك شديد ، يستوي في العجز عن صفته الخطيب البليغ و العبي المفحم ، فدعاني ذلك إلى الخفض على نفسي و تقديم جملة من ذكره إذا عارضت بما في قلبك كانت له موافقة بل كانت عليه مفضلة " <sup>3</sup> ، فهذه الرّسالة مختصرة ، لكنها معبرة عما يكنه الكاتب اتجاه صديقه من شوق و ولع و توق لرؤيته .

من خلال ما عرضنا من مواضيع الرسائل الشخصية في العصر العباسي نجد أن كاتب الرسائل كان متجدد الطاقة التعبيرية ، و سياق كلامه فوار بالمعاني ، خصب الأفكار ، و جاءت لغتها ميسورة غير مبتذلة ، و كانت الرّسالة في العصر العباسي تعبر عن الوسط الاجتماعي في ذلك الزمن ، و ما يدور بين الناس من موضوعات مهمة ، فأعطت صورة عن عصر بني العباس ، على صعيد موضوعات مختلفة و متنوعة : من تهنئة و تعزية و إهداء و توصية و شكوى و اعتذار و شوق ... الخ ، و استطاع كتابها أن يصلوا إلى جوهر الرّسالة الشخصية الإخوانية ، و يهتدوا إلى كنه النّثر الفنّي و أبعاده ، عبر مستوياته الفنّية من اختيار للفظ، و توخ للمعنى ، و الموسيقي و التدقيق و الوضوح و قوة الإقناع.

<sup>1</sup> أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب، ج3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971 ، ص 154

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج4، ص 49

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج3، ص 380

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

و بهذا فقد كان الكتاب في هذا العصر " يلتزمون الوضوح لأن رسائلهم توجه إلى العامة و لا بد من تفهم ما تسمع دون حاجة إلى الشرح أو بيان كما كانوا يلتزمون فيها شيئا من التتميق حتّى تنال استحسان من يكتبون عنه من الخلفاء و الوزراء، و الولاة و الأمراء " <sup>1</sup> ، كما حافظوا على الأسلوب، و طريقة كتابة الرسائل لدى عبد الحميد الكاتب و دام هذا حتّى أوائل القرن الرابع حيث طرأت على كتابة الرسائل تغيرات ، " تعدد الموضوعات و أغراض الكتابة بتعدد و تنوع أعمال الدواوين و شيوع السجع القصير لل فقرات غالبا و الولوج بالمحسنات البديعية كالطباق و الجناس و تضمين الحديث النبوي و الاقتباس من القرآن الكريم و من كلام البلغاء، و غيرها من التغيرات التي طرأت على الرسائل في هذه الفترة " <sup>2</sup> .

و في أخير الأمر يتجلى لنا أن الكتابة في العصر العباسي وصلت إلى ذروتها و عنصر السجع هو العنصر الأول في مذهب التصنيع ظهر منذ القرن الثاني الهجري و في القرن الثالث وجدناه في الرسائل السياسية أما في القرن الرابع الهجري ظهر التأنق بأنواع البديع و السجع ، كما أن فنّ الرّسالة في العصر العباسي كان متأثرا بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي غلب عليه التبسيط و توازن الفقرات.

### 6 - العصر الأندلسي :

كان للنثر مساحة واسعة في العصر الأندلسي إلى جانب الشعر، و من فنون النثر إضافة إلى الخطابة و الوصايا و المقامات نجد الرسائل التي كانت وسيلة اتصال و مبادلات عند معظم كبار الشعراء و الكتاب من أمثال : ابن زيدون، ابن شهيد و لسان الدّين بن الخطيب، و غيرهم .

كما اتخذ " ولاة الأندلس وأمرائها منذ بداية القرن الثاني الهجري كتابا يكتبون لهم فيما يصدر عنهم من رسائل و عهود " <sup>3</sup> ، حيث اقتصر أدب الرسائل في القرن الثاني هجري على بعض الكتابات الرسمية كرسائل التوجيهات و الأوامر الإدارية و كانت خصائصها الفنيّة تشبه إلى حد بعيد الخصائص التي اتسمت بها الرسائل في المشرق أيام الدولة الأموية بالإيجاز و الطبع غير الملتزم بالسجع، و البعد عن التعقيد، ثم أخذ فنّ الرّسالة في الأندلس يتطوّر شيئا فشيئا و ذلك راجع إلى تأثر الكتاب بأساليب المشاركة ، و مذاهبهم الفنيّة " كأسلوب

<sup>1</sup> شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، ج 2 ، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط12، 2001م ، ص551

<sup>2</sup> حنا الفاخوري ، الجامع في التاريخ العربي، دار الجيل، بيروت ،لبنان، ط1، 1986م ، ص641

<sup>3</sup> فايز عبد النبي فلاح القيسي ، أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر و التوزيع، عمان، الأردن ، ط 1 ، 1409هـ

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

عبد الحميد الكاتب الذي يعد مبتكر أدب الرّسالة الفنّية في المشرق في أواخر العصر الأموي، و أول من أطل الرّسائل، و أكثر التحميدات في فصول الرّسائل<sup>1</sup>.

و ما إن جاء القرن الرابع الهجري حتّى راح المسترسلون يتزعمون خطى البلغاء في عهد بني العباس و لقد تطوّر أدب الرّسائل تطوّرًا كبيرًا في الأندلس إلى أن بلغ أوجه في القرن الخامس الهجري، و مرد ذلك إلى عوامل متعددة يتعلق بعضها بالازدهار السياسي الذي بلغته الدولة الأموية في هذا القرن الذي يرتبط بقيام الخلافة الأموية في الأندلس، و عرف أدب الرّسائل تطوّرًا ملحوظًا من الناحيتين الموضوعية و الفنّية، فأما الموضوعية فكانت "كل ما يدور بين الأمراء و العمال، و أولي الأمر من تهنّئات و توصيات و إسناد عمل من الأعمال، و ما إلى ذلك، و كل ما يدور بين الأصدقاء و الإخوان من أمور، و ما يحصل من أحوال و ما يجول من خواطر، و ما يشاء من العواطف"<sup>2</sup>، و أما من الناحية الفنّية فقد أصبح الكتاب يهتمون بالبناء الفنّي للرّسالة من حيث البداية و الموضوع و الختام، فظهرت الرّسالة في بناء فنّي متكامل و قد ارتقوا كذلك بأساليبهم البيانية و عنوا باستعمال المحسنات البديعية المختلفة من سجع و جناس و مقابلة و ازدواج حتّى مالوا إلى الإطالة والإطناب، و إلى تدعيم الرّسائل بالشعر، و كثرت الألقاب و الجمل الدعائية في مختلف الرّسائل<sup>3</sup>، و قد تعددت هاته الرّسائل و اختلفت أشكالها و أنواعها و منها :

### أ - الرّسائل الديوانية:

تكتسب الرّسائل الديوانية أهميتها " بوصفها لسان حال الدولة و عليها يعتمد ترتيبها و تسيير أمورها وتحديد علاقاتها مع الدول الأخرى، و عليها تعتمد هيبتها و تستند إليها أركانها، فهي قوام الملك و ضبط قواعده"<sup>4</sup>، و تسمى السلطانية، و قد كانت العناية بها كبيرة، حيث كان الأندلسيون كثيري الانتقاد لكاتب الرّسائل و لا يتساهلون معه أبدا لو أخذ بشيء من مقوماتها، و لا يغفرون له زلة فهو محل إجلال و إكبار ما دام متمكنا من أدواته و إن نقص عن ذلك درجة لم ينفعه جاهه و لا مكانة من سلطانه، من تسلط الألسن في المحافل و الطعن عليه و على صاحبه، و يعرفها عبد العزيز عتيق "هي التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة أو الملك الذي يوجهها

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 91

<sup>2</sup> حنا الفاخوري، الجامع في التاريخ العربي، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص 927

<sup>3</sup> فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرّسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1409هـ،

1989 م ص 96

<sup>4</sup> عبد الحلیم حسین الهروط، الثّر الفنّي عند لسان الدّين ابن الخطيب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1432هـ، 2013م، ص 43

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

إلى ولايته ، و عماله و قادة جيوشه، بل و إلى أعدائه أحيانا منذرا متوعدا ، و قد كان لكل خليفة أو ملك كاتبه الذي يتولى الكتابة عنه في كل مهام الدولة و شؤونها <sup>1</sup>.

فعلى الرغم من أن الرسائل الديوانية تتقيد بأساليب و رسوم معروفة تكاد أن تكون مقننة ليس من حيث مطالع الرسائل و مقدماتها فحسب بل من حيث عنايتهم الخاصة بترتيب عناصر الرّسالة ، فهذا ما يجعلها تسيّر على وتيرة واحدة و هو بذلك يعطي صورة واضحة عن مدى اهتمام الأندلسيين في بناء رسائلهم، و للرسائل الديوانية أغراض عديدة و منها :

### • رسائل التولية والعزل:

و تبدأ بالتولية ، ونورد رسالة ابن برد الأصغر ، جاء فيها : " بايع الإمام عبد الله فلان بانشرح صدر و طيب نفس و فصاحة جيب و سلامة غيب، بيعة رضا و اختيار، لا بيعة إكراه و إجبار على السمع و الطاعة و المؤازرة و النّصر و الوفاء و النّصيحة في السر و العلانية و الجهر و النية و العمل على موالاة من ولاة ، و معادة من عاداه من بعيد و قريب ، و غريب و نسيب و يقسم على الوفاء به و القيام بشروط بيعته و الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم عالم الغيب و الشهادة ، و القائم على كل نفس بما كسبت ، و يعطيه كل ذمة الله و ذمة محمد رسوله ، و ذمة الأنبياء و المرسلين و الملائكة المقربين و عباد الله الصالحين ... " <sup>2</sup>.

و في مقابل التولية نجد العزل ، و من أمثلة رسائل العزل نجد رسالة كتبها المتوكل بين الأفطس ، في عزل وزيره أبي الوليد الحضري ، يقول فيها: " و لما رأيت الأمر قد ضاع و الإدبار قد انتشر و ذاع أشفقت من التلف ، و عدلت إلى ما يعقبنا - إن شاء الله - بالخلق، و أقبلت أستدفع مواقع أنسي و أشاهد ما ضيعته نفسي ، فلم أر إلا لججا قد تورطها و غمرات قد توسطتها، فشمرت على الساق للجتها ، و خدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي أدخلني رأيك و وطؤك الساحل الذي كاد يحول بيني وبينه فعلك ، فنفسك لم، و بسوء صنعها الملم ، و اعتصم و إن مت بجميل اعتقاد و محض... " <sup>3</sup>.

### • رسائل الزجر والتهديد:

و هي تصدر عن ديوان الحاكم الناصر عن الحكم ، و الخارجين عن القانون ، لما كانت فيه من فتنة و فساد مطامع ، و من أمثلة تلك الرسائل نذكر رسالة ابن برد على لسان أحد الأمراء إلى بعض الثائرين المتمردين:

<sup>1</sup> عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1976م ، ص 449.

<sup>2</sup> ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، تح : إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978، ص498

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج2، ص646 - 667 .

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

" لقد آن أن توقظوا سواهي العقول ، و أن ترحوا عوازب الأحكام ، فتسلم السخائم ، و تعمدوا الصوارم و تعيدوا السهام في كنانها... فكم صال بناركم و لم يشرككم في قدها ، و شقي بفتنكم ، و لم يغمس معكم بدا فيها ، و موفور سعيكم لذهاب وفره مستور، أعنتم على اكتشاف ستره... أما و الله لتجزعن الخطباء و لتفرعن على الأسنان ، و لتحاولن الأوبة ، و لا مآب لكم و التوبة ، و لا قبول منكم"<sup>1</sup> ، و تندرج مثل هذه الرسائل السياسية الصادرة عن ديوان الحكام والأمراء إلى الفئة المتمردة لردعهم وللحث على إطفاء نار الفتن.

### ب- الرسائل الإخوانية:

هي تلك الرسائل التي يتبادلها الأفراد فيما بينهم "فهي رسائل تدور بين الأصدقاء و الأقران توكيدا لعى المحبة و الصداقة و الود بينهم و لهذا يعتبر هذا النوع الثاني من الرسائل الأكثر رواجاً و انتشاراً بين الأدباء و عامة الناس ، كما تعد إحدى الصور الأدبية الرائعة التي تعبر عن صدق العاطفة و عفوية التعبير ، كما تعبر عن الاحترام المتبادل بين الإخوة و الأصدقاء ، و نجد أيضا خالد إبراهيم يوسف يعرفها بقوله " هي رسائل شخصية وجدانية ذاتية ينشئها صاحبها لأمر ما ، في مناسبة ليعبر من خلالها عن كوامن نفسية"<sup>2</sup> ، ولهذا كانت عناية العديد من الأدباء الأندلسيين بهذا النوع فكانت الإنتاجات والإبداعات الأدبية.

فالرسائل الإخوانية وسيلة للتواصل بين الأحباب والأصدقاء، تختلف موضوعاتها بحسب مقتضى الحال فقد يكون غرضاً اجتماعياً كتهنئة أو تعزية، أو عتاب، و قد يكون غرضاً سياسياً كتهنئة بمنصب.

### • رسائل العتاب:

العتاب يدل على صدق المحبة ، و لا يعاتب إلا محب ، و من قبيل الرسائل التي تحمل في طياتها العتاب رسالة ابن شهيد " إلى "مجاهد العامري" أمير دانية معاتباً إياه على إهماله الصداقة و انشغاله بالسياسة فيقول فيها: " كنا قبل أن ترمي بنا النوى مراميها ، و تلقي الخطوب علينا مراسيها و تمخضنا الأيام مخضاً ، و تركض بنا الليالي ركضاً تربي صحبة ، و حليفي صبوة، و قد تخلينا عن الأنساب و انتسبنا إلى الآداب ، و الدار إذ ذاك صقب و الملتقى كتب ، فإذا شمخ بأحدنا مارن ، و ثار به كمد لساكن ، يعتب على زمن و تقصير بإرادة عن سكن ، تعاطينا كأس الشكوى و تخابانا جبل البلوى ، ثم ألقنا الأيام علينا بكلكل ، و أناخت بقوانا بجران ، فنثرتنا بكل فج عميق ، و أفق سحيق ، نثر الذر شذر مدر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، تح: إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978م، ص485-498

<sup>2</sup> خالد إبراهيم يوسف، الثر العربي أيام المماليك، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.ت، ص92

<sup>3</sup> ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، تح: إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978م، ص228-229

## الفصل الأول: نشأة و تطور فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

### • رسائل التهنية :

تعبّر عن الفرحة ، و الغاية منها توطيد العلاقات الاجتماعية ، و ترسيخ أسس الصداقة ، و قد عرفت البيئة الأندلسية على نطاق واسع ، فكانت رسائل التهنية بمنصب ، أو مولود ، و نذكر رسالة الكاتب أبو محمد غانم بعث بها إلى صديق له بغرناطة يهنئه فيها بميلاد مولود فيقول: " و ما أغفلته بقلة اليقظة ، وسألت الله ألا تكتبه علي الحفظ ، تهنتك بالفارس المولود، و الفرع المودود ، و النجم السعيد ، الذي تطلع في أفق سمائك ، و ترفع بلفاع ضيائك، مليته برا حرا".<sup>1</sup>

### • رسائل التعزية :

تعبّر عن التلاحم و المحبة بين الأصدقاء ، و من رسائل التعزية نورد رسالة "ابن بر" في تعزيتة لصديقه في موت والدته ، فيقول : " يا سيدي ، و من لا يزال جأشه ساكنا و حرمة آمنا ، بودي -أعزك الله - لو خاطبتك بالتهنية لا بالتعزية ، و لمنها الأيام تحلو و تمر، و الأقدار تسيء و تسر، و الرزايا تتطرف و تتحيف ، و المنايا تستدرج و تتخطف .... أرجو أن تشد له عزائم عزمك ، و تحمله على كبد احتمالك ، و تقلب إليه محن اصطبارك ، و تذكي عليه قبس اعتبارك ، فتعلم كثرته و جمومه ، و تذكر شموله و عمومه ، و تذكر أنه عرف لا ذكر و لا عون ، لا بكر، فتأسى بكثرة الباكين ، على الهالكين، و تتعزى بسرعة اللاحقين على السابقين".<sup>2</sup>

و عليه يمكننا القول أن الرسائل الإخوانية هي الأخرى كانت متنوعة في البيئة الأندلسية، التي كانت تعيش حقبة تاريخية مليئة بالفنّ و الاضطرابات السياسية ، و كانت هذه الرسائل منفذا تطل منه و بصيصا للأمل ترقبه الأبصار، و رسولا يوصل الشكوى ، و قد تولى ذلك مجموعة من الأدباء كانت لهم مكانة مرموقة سياسية و أدبية.

### ج- الرّسائل الأدبية:

لا تختلف من حيث الصناعة اللفظية عن الرسائل الديوانية فأكثرها فيه السجع و البديع و لكنها تختلف من حيث أغراضها عن الرسائل الرسمية ، و هاته الرسائل تأتي بعد النوعين السابقين و هي أوسع و أفصح مجالا عنهما يطلق فيها الكاتب العنان لقلمه " فهي الرسائل الأدبية المطولة التي يكتبها البلغاء يسجلون فيها خواطرهم

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، ص 885

<sup>2</sup> ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، تح : إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978م، ص 218

## الفصل الأول: نشأة و تطوّر فنّ الرّسالة (مقاربة تاريخية)

و يدونون آراءهم فيها تصف شؤون الاجتماع أو الفكر أو الأدب أو يحملون على تأييد مذهب أو تفضيل فريق على فريق أو يكتبونها في الترويح عن النفس أو الفكاهة أو السخرية و نحو ذلك".<sup>1</sup>

يتميز الأسلوب في الرّسالة الأدبية "بحسن اختيار الألفاظ وبراعة أداء المعاني مع جودة في سبك الجمل و وضوح في الهدف مع زخرفة بديعية و غيرها من التشبيهات و الخيال الواسع"<sup>2</sup>، و تلتقي الرّسالة الأدبية مع الرّسالة الإخوانية في العديد من الموضوعات و الأغراض كما أن هذا النوع من الرسائل أقرب لمفهوم الرسائل من النوع السابق وذلك راجع إلى نضجها الفنّي باعتبارها من الأشكال التعبيرية التي تلتبسها الرسائل الأدبية، المناظرة و المفاخرة، و المحاورة و المفاضلة و المساجلة و غيرها"<sup>3</sup>.

و من هنا يتجلى لنا بأن هذا النوع تابع لذلك النوع الذي وجد قبله حيث: "تعتبر هذه الرسائل مرحلة تطوّر للرسائل الإخوانية حيث يعبر عن و داد صديق معين مثلاً ، فمالت الرّسالة الأدبية إلى التجريد فأصبح يكتب عن الوداد و الأخوة بصفة عامة"<sup>4</sup> ، و من أشهر كاتبي هذا الضمان ابن حزم الأندلسي و إسماعيل بن محمد الشقندي فهو من الأندلسيين الذي برع فيها حيث كتب في المناظرات و المناقشات و القصص الخيالية و رسائل الاستعطاف و المهجاء الساخر و غيرها من الكتابات الأدبية.

و في الأخير يتجلى لنا بأن هذا النوع من الكتابات يظهر لنا براعة الكاتب البلاغية و فيها يظهر حسن ترسله ، تكون لها فائدة المتعة الأدبية بالإضافة إلى سبب إنشاء الرّسالة أي هي مزدوجة الغاية و قد أبدع الكاتب في هذا النوع أيما إبداع ، و هكذا تطوّرت الكتابات في هذا النوع من الرسائل.

<sup>1</sup> أمين أبو الليل ، محمد ربيع ، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط1، د ت ، ص215

<sup>2</sup> فيصل حسين طحيم العلي ، فنّ الترسّل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد ، أطروحة الماجستير، إشراف محمد محمود قاسم نوفل، جامعة

النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين، 1422هـ ، 2001م، ص53

<sup>3</sup> محمد محمود الدروبي، الرسالة الفنية في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 1999، ص8

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص9

# الفصل الثاني

دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

1 - المستوى الصوتي

2 - المستوى التركيبي

3 - المستوى الدلالي

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

### 1-المستوى الصوتي :

و اللغة العربية هي مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أنفسهم و أفكارهم ، و لو نظرنا إلى كلامنا لوجدناه مجموعة من الجمل التي تعبر عن معان مختلفة ، و كل جملة تتكوّن من مجموعة من الكلمات ، و كل كلمة تتكوّن من مجموعة من الأصوات ، أي حروف و حركات ، إذ الأصوات فقرات ، و الفقرات تكوّن الكلمات ، و الكلمات تكوّن الجمل ، و الجمل تكوّن نصّا جميلا له معنى.

ينتج الصوت عندما يندفع الهواء من الرئتين مازّا بالقصبه الهوائية و الحنجرة و الفم ، حيث يعترض تيار الهواء المتدفق بعوائق بشكل أو بآخر، حسب طبيعة الصوت المنتج والأعضاء المساهمة في إنتاجه ، و هذا الاعتراض قد يؤدي إلى حدوث اضطراب في تيار الهواء داخل جهاز النطق، تنتج عنه موجات الهواء المنتج التي تنتقل من فم المتكلم إلى خارج أذن السامع حيث تجري عدة عمليات ميكانيكية للصوت داخل الأذن الداخلية تتجسد في إشارات إلى الدماغ ، و هناك تحلل هذه الإشارات لتمنح قيما لغوية له.

و الصوت هو البنية الأساسية لأي لغة من اللغات ، كما أنه المادة الخام لإنتاج الكلام بما يظهر مفهومه جليا في تعريف ابن جني ت392م : " اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تشبه عند امتداده واستطالته"<sup>1</sup> ، أما الصوت اللغوي عند علماء الأصوات فهو: " عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي و تصحبها آثار سمعية معينة ، تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت ، وهو الجهاز النطقي و مركز استقباله و هو الأذن"<sup>2</sup>.

وتقوم الأصوات بدور كبير داخل النصّ، تماما مثلما تفعل الألوان داخل اللوحة الفنية ، فإذا كان النصّ عملة ، أحد وجهيها الشكل و الوجه الآخر الدلالة ، فإنّ الصوت هو معدن هذه العملة بصفتها الوحدات الأولى التي تتكوّن منها التصووس ، و من شأن الفرع أن يحمل خصائص الأصل ، ليكون للأصوات بذلك التأثير الأول في شكل النصّ و مضمونه ، و من ثمّ في المتلقي.

<sup>1</sup> أبو الفتح ابن جني ؛ سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هندواي ، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1985، ص 06

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط2، 1979، ص 77

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

و للأصوات صفات متعدّدة اعتني بدراستها علماء الأصوات ، و بيّن الجدول الآتي عمليّة إحصائية للأصوات التي استعملها لسان الدّين ابن الخطيب في رسالته، وعلى أساسها تكون القراءة الإيحائية الدّلالية لها ، و حسب صفاتها أيضا :

الألف	الباء	التاء	الثاء	الجيم	الحاء	الخاء
219	213	269	24	50	100	24
الدّال	الذال	الراء	الزاي	السين	الشين	الصاد
111	11	242	31	109	73	35
الضاد	الطاء	الظاء	العين	الغين	الفاء	القاف
25	26	11	149	19	112	105
الكاف	اللام	الميم	النون	الهاء	الواو	الياء
81	312	345	337	220	217	276

### أ - الجّهر والهمس ودلالاتهما في الرّسالة :

#### \* الجهر

هو " اهتزاز الحبلين الصّوتيين بقوة كافية ليتكيف الهواء المار بينهما بالصّوت ، و يحدثان صوتا موسيقيا تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات أو الذبذبات في الثانية " <sup>1</sup> ، و " الصّوت المجهور هو الصّوت الذي يهتز عند النّطق به الوتران الصّوتيان في النّوء الصّوتي الحنجري بحيث يسمع رنين تنشره الذبذبات الحنجرية " <sup>2</sup> .

وتتحدد الصوامت المجهورة في 15 حرفا، هي: ب، ج، د، ذ، ر، ز، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي.

<sup>1</sup> إبراهيم مجدي إبراهيم محمد، في أصوات عربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1427م، 2006م، ص: 58

<sup>2</sup> صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق القاهرة / مصر، دن، ط1، 2006م، ص: 55

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

أما أكثر المجهورات تكررا في الرسالة فقد تم رصدها كالآتي:

الأصوات	الياء (ي)	الراء (ر)	العين (ع)	اللام (ل)	الميم (م)	التون (ن)
عددتها في العينة	276	242	149	612	345	337

اللام: و هي " أحد الحروف الستة التي قيل أنه لا تخلو منها كلمة عربية الأصل و هي : ب ، ل ، د ، م ، ك ، ن ، مخرجها من طرف اللسان " <sup>1</sup> ، كما يدلّ هذا الحرف على معنى الاتّصال ، فكلّ كلمة تحوي حرف اللام ضمن حروفها تعني أنّها اسم لشيء مادي أو حسي يدل على الاتّصال أو أدوات الاتّصال ، و الاتّصال بكافة أشكاله مادي أو حسي . فالاتّصال بين البشر تدلّ عليه كلمات تحوي ضمن حروفها حرف اللام مثل:

نال - سألت - لطف - لسان - رسالة - رسول - بال - بل ، عل - كلام - بلد - سلام - لقاء - وصل  
- لم - قلب - سلالة - صلب - أهل .

الميم : حرف هجاء صحيح ، من الحروف المجهورة ، وتحمل الميم تقريبا نفس دلالات التّون ، الحزن و ابتغاء الضم و الاحتواء .

التّون : حرف هجائي من الحروف المجهورة و " هي من حروف الدّلّق يخفى مع حروف الفم خاصة ويبيّن مع حروف الحلق عامّة ، و هو و الراء و اللام في حيز واحد ، يذكّر و يؤنّث و جمعه نونات في التأنيث و أنوان في المذكر " <sup>2</sup> ، و ترتبط بالبكاء ، و ما يسبب البكاء ، مثلما أنّها تتناسب من حيث قيمتها الإيقاعية مع التعبير عن هذا المعنى و أدائه ، و مما يمثّل شيوع صوت التّون عنده ، ما ورد في بداية الرسالة هذه الأبيات:

فِيُنزِلُنِي عَنْهَا الْمِكَّاسُ بِأَثْمَانٍ

بِنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَيَّ بِهَيْبَةٍ

وَرَأَشَ سِهَامَ الْبَيْنِ عَمْدًا فَأَصْمَانِي

حَبِيبُ نَأَى عَنِّي وَصَمَّ لَأَنْتِي

<sup>1</sup> أحمد رضا ، معجم متن اللغة ، ج5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط ، 1980، حرف اللام، ص 133

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 375

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

فلسان الدّين بن الخطيب على مدار أبياته يصف حالته التي تعجّ بالشكوى و العتاب والألم و الحرقه و الحسرة ، لما يتعرّض له من غياب صديقه و بعده عنه . ابن خلدون . فهو باك ، هائم الفؤاد ، غارق بالدموع ، لا يأتيه التّوم ، و هي معان يفيض بها كلّ بيت، و ينسجم فيها مع صوت النّون الممدود المكسور، و هو ذاته ما هيأ لابن الخطيب الإتيان به انسجاما مع دلالات رسالته.

### أ- الهمس

الصّوت المهموس هو " الصّوت الذي لا يهتز معه الوتران الصّوتيان و لا يسمع لهما رنين حين النّطق به " فالكلام المهموس كلام منخفض ضعيف لا يحتاج لقوة كبيرة .

أمّا الأصوات المهموسة: فهي عدم تذبذب للأصوات خلال النّطق بصوت معيّن و هي:

الهمزة، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ

و أمّا الهمزة فهي: " .. تنطق بانطباق الوترين الصّوتيين على نحو يخالف انفراجهما في النّطق بالمهموس ، و يخالف توترهما في حالة النّطق بالجمهور، و لذا يمكن وصف الهمزة من هذا الجانب بأنّها صوت محايد.

الأصوات	السين (س)	التاء (ت)	القاف (ق)	الهاء (هـ)	الفاء (ف)	الحاء (ح)
عددها في العيّنة	109	269	105	220	112	100

نلاحظ أن حرف التّاء يتصدر المهموسات بتواتر 269 مرة ، والتّاء من حروف الغار الأعلى في الفم، و هي من حروف الابدال و نجدها في الرّسالة ترحل، تعشق، تسلو، مطولة، البالية ...

ثم يلي حرف الهاء بتعداد قوامه 220 صوتا، و هو صوت رخو مهموس لا يتطلب تحرك الوتران الصّوتيان عند النّطق به، والهاء تدلّ على الاهتزاز و الاضطراب و الألم و الحزن ، كما يوحي تكرارها بشيء من الألم النفسي سيما و أنّ الرّسائل التي تكثر فيها هذا الحرف جاءت متضمّنة لمعاني الحزن كما تضمّن معاني الشوق التي

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

نجدها في رسالته إلى أبي زيد بن خلدون الرئيس ، و نماذج هذا الصّوت في الرّسالة نجدها في الألفاظ مثل " سهام ، هم ، هيمان ، القهر ، ذهول ، الزاهد ....".

في المرتبة الثالثة يأتي صوت السّين و هو من ألطف الأصوات الرخوة المهموسة رقة و همسا حيث تواتر هذا الصّوت 109 مرة ، مما يعكس اهتمام المؤلف بهذا الصّائت الخفيف المتلائم مع الأصوات الخفيفة يدل على الحرقة و الانحدار و العلو، من ذلك في الرّسالة " نفسي، سهام، حسن، سرها، الاسى، نواسمه...".

وقد أكّد الاستقراء أنّ نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تزيد على الخمس أو العشر في المئة فيه ، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة" ، و يوفر انتشارها في النصّ ظلّالا من المعاني توصف بحسب صفة الأصوات ، فإذا كانت مجهورة ازداد المقام تفخيما و قوة ، لأن الصّوت المجهور يتّصف بحركة قوية تشد انتباه السّامع فيعي أسراره ، و إذا كانت مهموسة كان الصّوت خافتا و الحسّ مرهفا فيوجب التأمل و توقظ حركة الوجدان و المشاعر النبيلة لأنه غالبا ما يكون في مقام الحزن و الإشفاق، و هذا ما نجد في رسالة ابن الخطيب.

و حسب الجدول نلاحظ تعداد الجهر والهمس كالآتي :

عدد الأصوات المجهورة	2647	نسبتها	69.16%
عدد الأصوات المهموسة	1180	نسبتها	30.84%
العدد الكلي للأصوات	3828	نسبتها	100%

من خلال ملاحظتنا للجدول يتبيّن لنا أن الأصوات الأكثر ورودا هي: الأصوات المجهورة بنسبة 69.16% ، عكس الأصوات المهموسة التي قلّ وجودها في الرّسالة و كانت بنسبة 30.84%. وهذا يوحي أن ابن الخطيب يجهر ويعلن حالته المحزنة، فهو يقر ويعترف بما جهرا وهذا جلي في الرّسالة ومن أول قراءة لها.

ب - حروف اللين :

تكثر في رسالة لسان الدين بن الخطيب المقاطع الصّوتية الطويلة المؤلفة من صامت و صائت طويل ، سواء أكان الصّائت الطويل ألفاً أم واوًا أم ياء ، و لها وظيفة صوتية تؤدّي إلى تنوع النغمة الموسيقية فهي ذات

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

مرونة عالية، وذات سعة في إمكانياتها الصوتية، تفضفي موسيقى خاصة ذات تأثير نفسي يشبه ذلك التأثير الذي يحققه اللحن الموسيقي، و تمتاز أصوات المدّ بوضوحها في السّمع إذا قيست بالأصوات الساكنة، فهي أصوات يحتاج النّطق بها إلى زمن طويل يتناسب دلاليا مع الصّوت المصاحب للنّداء، أو المخاطبة عن بعد، فكثير منها يوحي بنداء ضمنيّ يتمثل في مخاطبة صديقه البعيد عنه المتعلّق به، و يخاطبه طلبا للوصل أو شرحا لحاله الذي يعاني فيه الألم و الحزن و الحسرة أو البث و الشكوى و الأنين و طلب المواسة.

و يمثل المدّ بصوت الألف في قوله : الفراق - داع - الرجاء - ناء- جازيا- العنقاء - زمان - الدنيا - .. الخ

و يمثل المدّ بالواو: نورا - العيون- النفوس- رسوم - نون- المجدور - المكروه - تركتموني- همومي ... الخ.

كما و يمثل المدّ بالياء: النادي- سيدي- عهدي- عندي - حبيب - أخي - حديث- العقيرة .... الخ -

و ينسجم هذا التماثل الصّوتي مع دلالة الرّسالة التي يعبر فيها الكاتب عن بته و حزنه و شكواه، فضلا عما تحتاجه المقاطع الطويلة من صوت ممتد، إذ النّطق بها يحتاج إلى زمن أطول من نطق المقاطع القصيرة مما يستدعي إيقاع الحزن و أصوات التألم.

### 2: المستوى التركيبي :

ترى الأسلوبية في دراسة التركيب وسيلة ضرورية لبحث الخصائص المميزة لمؤلف معين، بل تعدّه أحد مستويات التحليل اللّغوي للنّصّ الأدبي، " و يتخذ الدّارس الأسلوبيّ في تحليله التّركيبي جملة من المسائل تنطلق من النّصّ نفسه، فالمدخل الأسلوبيّ لفهم أي نص هو لغته"<sup>1</sup>

يلاحظ عند دراسة بن الخطيب أنه يعبر عن تجربة لها من الخصويّة ما يدفع به إلى اختيار التراكيب اللّغوية التي بمقدورها إبراز الطاقات الإيحائيّة لمفرداته، بل يجور في بعضها بما يخرجها عن المألوف في التراكيب اللّغوية، و يكشف أسلوب بن الخطيب عن مجموعة من الطّواهر التّركيبيّة، التي تتوسع من النّاحية الاحصائيّة، فضلا عن الطّريقة الخاصّة التي ترد عليها، بسبب من الدلالات المختلفة التي تتأتى من التّجربة الشعوريّة، و كأن الرّؤية الخاصّة له هي التي تدفعه للاختيار العفويّ لأنماط التّركيب و التّعبير على مستوى الكلمة و الجملة والأداة.

<sup>1</sup> - شكري عباد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الخيزرة العامة، مصر، ط2، 1992، ص 138.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

و المبدع الحقّ هو الذي يختار الكلمات المناسبة في المكان المناسب، و نجد الرّسالة قد تنوّعت فشكّلت لوحات فنيّة جميلة بديعة.

### أ - تركيب الجملة الاسمية :

ولأن الاسم "يخلو من الزّمن و يصلح للدّلالة على عدم تجدد الحدث و إعطائه لونا من الثّبات"<sup>1</sup> ، فإنّ الكاتب يلجأ إليه في التعبير عن الحالات التي تحتاج إلى توصيف وتثبيت ، و قد أكثر استخدام الجمل الاسميّة، فهي كثيرة مقارنة بالجمل الفعلية، مما يدلّ على أن حالة شوقه و حزنه كانت في ثبوت واستقرار ووظّف نسبة معقولة أيضا من الجمل الفعلية فيعني أنه اختلطت عليه المشاعر و تجددت و احتدمت عليه ذكريات الصّدقة التي أرقت ليله و أيقضت مضجعه.

وقد ذكر الأسماء في الرّسالة : 603 مرّة ، وجاءت متنوّعة ، بين ما هو مشتقّ و ما هو جامد ، و الملاحظ عليها أنّ أغلبها، أتت معرفة إما بالألف و اللّام أو بالإضافة ، و هذا لأنّ حالة لسان الدّين ابن الخطيب لا تخفى على أحد ، ثم أن شوقه مشتقّ من الغياب، و من الحنين و البعد لذلك جاءت أغلب الأسماء مشتقة فهي تحمل صفة التّداعي و العودة إلى الأصل وهو سبب حالته التي هي: الغياب والبعد ، "الإخبار بالاسم يقتضي الثّبوت و الاستمرار على نحو ما ، بينما يقتضي الإخبار بالفعل التّجدد و الحدوث آن بعد آن"<sup>2</sup> ، و ترتبط الجمل فيما بينها بعلاقات متينة محكمة مسبكة لدى المبدع الحصيف المتمكّن من ناصية اللغة ، و هذه الارتباطات من شأنها إعطاء دلالات تضيفي الجماليّة على نصه.

### ب - تركيب الجملة الفعلية:

الجملة الفعلية هي "كلّ جملة صدرها فعل" و توضع لإفادة الحدوث في زمن مخصوص كالماضي و المضارع و الأمر، أو تفيد الاستمرار التّجددي إذا دلّت عليه القرائن"<sup>3</sup> ، وقد استخدم لسان الدّين ابن الخطيب أنماطا مختلفة من الجملة الفعلية ، بما يناسب الدّلالات التي عبّر عنها، من خلال المراوحة بين الأفعال المضارعة تارة و

<sup>1</sup> - أحمد درويش، دراسة الاسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، د، ط، 1998، ص 153.

<sup>2</sup> - أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1968، ص 182.

<sup>3</sup> - حسن جمعة، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2002، ص 60.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

الماضية تارة أخرى و الأمر حيناً آخر، فالفعل دعامة أساسية من دعامات الجملة ، و لأنّ الرسالة هي إخبار المرسل إليه بإخبار تتنوع بين ثبات و حركة ، و تجدد ، و هي تدلّ على التجدد في زمن معين مع الاختصار.<sup>1</sup>

أول ما يلفت في القراءة الأولية للرسالة أنّها تشتمل على جملة واسعة من الأفعال، منحتها مقداراً كبيراً من الحيويّة و الحركة ، و أوحى بسياق من الأحداث المتحرّكة المتتالية ، و الجدول يبيّن توظيف الأفعال في الرسالة :

العدد	الفعل
139	الماضي
66	المضارع
09	الأمر
15	المبني للمجهول
299	كل الأفعال

ونذكر أمثلة عن الفعل الماضي: أصماني - أجذب - سألت - رحلت - نزحت - حلّ.

ومن المضارع جاء في قوله: تذهل - يصلح - تفضي - تصفي - تترفق...

أمّا الأمر فقد لوحظ أن العدد كان قليلاً و محدوداً: حيث كانت تسعة أفعال فقط و هي: حدث - أقل - أسمح - أسأل - المح - اغتتم - ثني - أغض - اشف .

و أمّا الأفعال المبنية للمجهول فهي الأخرى أتت محدودة حيث بلغت: خمسة عشر فعلاً وهي: يزجر - تغمّد - انتبذت - عرفت - شفيت - قضيت - اجتليت - يعتاض - أشرعت - يروى - يشمّ - يشناق - يعدّ - شغل - حكم.

و اعتماده على الفعل أساساً بما يوحيه من دلالات و إشارات ، و يمكن تبين دور الفعل في المستوى التركيبي من خلال التحليل مع التركيز على الأفعال ودورها البنائي ، فورود الأفعال على هذا النحو من التعدد و التركيز يظهر التجدد في الرسالة للشوق ، مع الإشارة على استمرارية هذا الحدث ، إذ إنّ الفعل المضارع يفيد معنى الاستمرار والامتداد.

<sup>1</sup> - علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة العربية الواضحة مع دليلها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، د ط، د ت، ص 126.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

ت- أسلوب التّفْي:

لجأ لسان الدّين بن الخطيب لأسلوب التّفْي و من الأدوات التي استعملها: لا، لم، ليس، غير، ما، و يأتي به في كثير من المواضع ليعزز معنى ذكره في قوله مثلاً:

وَ قَدْ كَانَ هُمُ الشَّيْب - لَا كَانَ كَافِيًا - فَقَدْ أَذْنِي لَمَّا تَرَحَّلَ هَمَّان.

في البيت الأول:

بِنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَيَّ بِهَيْئَةٍ      فَيُنزِلُنِي عَنْهَا الْمِكَّاسُ بِإِثْمَانِ

فهو يثبت بنفسه كونها كافية لهوان مصيبيته ، ثم يعود فينفي هذا الثّبات باستخدام أداة النفي (ما) ذلك الوجود ، إلا أنّ الغياب و استحالة الوصول إليه، و يأتي هذا التّمط من نفي الفعل ليعمّق أبعاد الدّلالة ويوسّعها.

ث - الضّمائر:

يشكّل استخدام الضّمير في رسالة ابن الخطيب حضوراً واسعاً ، إذ يتكئ عليه اتكاءً واضحاً ، مكوّناً شبكة تقابلات بين أنواع الضّمائر المختلفة، خصوصاً ضمائر المتكلم ، الخطاب و الغيبة ، إذ تقوم هذه الضّمائر بدور جليّ في رسالته ، و تكشف عن أطراف الرّؤية التي يعبر عنها ، و طبيعة المواقف التي تستدعي رسالته، فالضّمائر جاءت بين (أنا)، و(أنت) و (هو)، ضمير الغائب، فهو الذي يتكلّم عن شوقه و حزنه فيقول: (أبكي - أندب - أشكو - أحرار...) ، أو من خلال السّياق، أو الضّمير المتصل الدّال على المتكلم (أنا) كقوله: (سألتُ - حلفتُ - أرميتُ - شرعتُ...)، وقد ذكر كلمت (نفسي) ، أو كلمات أخرى مشابهة مضافة إلى ضمير ياء المتكلم ، في إشارة إلى الارتباط الخاصّ أو العلاقة المميّزة، وقد استخدمها بكثرة في الرّسالة ، و استخدام لسان الدّين لضمير المتكلم شديد الوضوح في رسالته ، و هو غالباً يلجأ إليه ليدل على نفسه المتألّمة ، و جاء الضّمير المتصل (ياء الملكيّة) عدة مرّات في الرّسالة ، مما يدلّ على التّخصيص.

و خلاصة القول أنّ الضّمائر عند ابن الخطيب ظاهرة أساسية في تراكيبه اللّغوية ، و هي تأتي عنده متنوعة غزيرة ، مثلما تؤدي وظائف دلاليّة شتى ، تتنوع باختلاف الموقف الذي يعبر عنه.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

### ج - تراكيب الاضافة :

يبدو تركيب الإضافة واحداً من التراكيب الأساسية التي يقوى استخدامها عند ابن الخطيب إذ يتوسع في الإتيان به ، و يكثر من الاعتماد عليه في التعبير عن حالته، حتى يضحى واحدا من سماته الأسلوبية الأثيرة.

و لعل ذلك يعود إلى ما تتيحه الإضافة من توليد معان جديدة دقيقة من خلال الرّبط بين لفظين متجاورين ، بغية الوصول إلى معانيه البعيدة ، و من هذه التراكيب الموجودة في الرسالة :

- نُغْبَةَ ظَمَانَ.

- نُونُ النُّوَى.

- ثَاءُ الأَثَافِي.

- جُنُ الشُّوقِ جَنِّ سُلَيْمَانَ.

### ح - الأساليب الانشائية :

#### • أسلوب الأمر:

" الأمر أسلوب إنشائيّ أكثر مما هو فعل لأنه ليس فعلاً حقيقياً، إذ لا يدل على حدث بقدر ما يدل في الأصل على القيام بالحدث"<sup>1</sup>

أمّا في رسالتنا فترد جملة من الصيغ والتراكيب التي تتخذ من الأمر ظاهراً لها ، لكتّتها في جوهرها الأسلوبيّ تخرج عن هذا الظاهر إلى دلالات و معان أخرى.

و من أمثلة أسلوب الأمر نجد في الرسالة :

أمّا الشوق فحدّث عن البحر و لا حرج.

و أمّا الصّبر ف أسأل أية درج.

<sup>1</sup> - محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ط5، 1981م، م20، ص358.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

و يلاحظ أنّ عددًا من الصيغ جاءت في الخطاب بصيغة المفرد: (حدّث، أسأل، أقل، و المح..). و فيها توّدد يحمل معنى القرب و الرّغبة فيه كما جاء في قوله: "أسأل نون التّوى عن أهليه وميم الموقد عن مصطليه"، فنّلمس في الأمر الأسف و الحسرة على ديار الأندلس وما آلت إليه.

وفي العبارة حزن على حالته و حالة قلبه، و قوله: "فالمح واغتنم ثوب الثّواب"، "واشف بعض الجوى"، و الغرض منه التّصحح و الوعظ و الارشاد، و قد خرجت صيغ الأمر من معانيها الأصليّة إلى الدلالات البلاغيّة التي تمنحها صفة الخاصيّة الأسلوبية.

### • أسلوب التّداء:

التّداء "طلب المتكلّم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الانشاء"<sup>1</sup>، و قد ورد التّداء في:

- أَيُّهَا الْقَلْبُ.

- يَا مَحَلَّ الْوَلَدِ.

- يَا مَنْ تَرَحَّلَ.

و الملاحظ أنه ورد بنسبة قليلة جدا، و نجد أنّ (يا، أيها)، فهي تحمل معنى اللّوم و العتاب، و التّشخيص و الشّكوى حينما يخاطب قلبه فكان له أن يشتكي لغير صديقه علّه ينقص من لوعته.

### • أسلوب الاستفهام:

و هو "طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدواته: الهمزة، و هل، و من، و ما، و متى، و أين، و أيّان و أنّى، و كيف، و كم و أيّ"<sup>2</sup>، و قد جاء في الرّسالة في عدة مواضع نذكر منها:

- فكيف حاله إذا رحلت عنه ؟

- هل رأيتما قتيلا بكى من حبّ قاتله ؟

<sup>1</sup> - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، صفحة 105.

<sup>2</sup> - عبد السلام هارون، الأساليب الانشائية في النحو العربي، ص 18

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

- كيف حال تلك الشّمائل المزهرة الحمائل ؟

- هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله ؟

إنّ هذه الأسئلة التي أطلقها ابن الخطيب، ضاعفت إيجابية النصّ، فهي لا تمثل أسئلة و لا ينتظر منها إجاباتها، بل تركز على الفكرة للتأمل في حقيقة الحياة، و حقيقة الزمن الذي يغيّر الأشياء و الأشخاص ، فالأسئلة الأولى تتعلق به و بحاله و شوقه، أمّا الأسئلة التي تلت فتتعلق بحال المكان بعد فراق أهله و خرابه، فكذلك يفعل الغياب في الإنسان يفعل الغياب في المكان بغياب الحياة يوحش المكان و يصبح غريبا وكأنّ أحدا لم يعمّره ، كذلك القلب بغياب الوصال يوحش و يعمر فيه الحزن والألم.

خ - الروابط التركيبية:

لا يستقيم بناء النصّ إلا بالترايط الموجود بين الجمل ، وهو أساس يقوم عليه الربط التركيبي، و قد تنوعت أدوات الربط النصّي عند لسان الدّين ابن الخطيب ومن الأدوات المستعملة:

▪ حروف العطف:

الواو	أو	ثم	الفاء	بل	قد
185	05	01	34	04	02

• حروف الجر:

ومن حروف الجر الأكثر استعمالا في الرسالة كما يتضح في الجدول:

من	إلى	على	في	ل	ب	عن
48	13	14	29	14	63	17

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

فالحروف الثلاثة الأكثر ورودا هي:

- ب: 63 مرة.

- من: 48 مرة.

- في: 29 مرة.

- الباء: تأتي للإصاق و هو أصلها ولا يفارقها كما تأتي معنى المصاحبة و للسبب أيضا ، أمّا دلالتها في الرسالة حسب بعض الأمثلة فقد جاءت في قوله: بالفراق، بجن، برحمة.....

- من: و تدلّ على ابتداء الغاية، و التبويض، و بيان الجنس، و قد ذكرها في النحو: من حسن عهد من قلى، من لقياه، من قبله، من روح الله.....

- في: و تأتي للظرفية حقيقة، و للتعليل، و للمقايسة، و قد جاءت في مثل قوله: في ريع الفراق، في الصميم.....

### 3 - المستوى الدلالي:

و يمكن أن يندرج البحث الدلالي الحديث في طرفين هامّين هما: الدال و المدلول، و العلاقة التي تجمع بينهما، و تنشأ من تلك العلاقة مباحث لغوية مختلفة و متباينة لكنّها مترابطة و متكاملة، كموضوع أنواع الدلالات و أقسامها، و الحقول الدلالية ، و ما نحاول دراسته في هذه الرسالة ، هو معاني الألفاظ من خلال المحاور الدلالية و ألفاظ الرموز، و كذلك الجمل، و العبارات من خلال المقاطع الدلالية ، و هو ما يعرف في علم الدلالة بنظرية الحقول الدلالية التي "تعنى بدراسة مفردات اللغة من خلال تجميعها في حقول أو مجالات دلالية أو ملامح دلالية مشتركة"<sup>1</sup>.

#### أ- المقاطع الدلالية :

يستعمل لسان الدين بن الخطيب أسلوب المقاطع المعنوية، التي تتحوّل إلى محطات دلالية و وجدانية، في إطار التصاعد الانفعاليّ ، لتتحول إلى إضافات كاشفة ، و قد قسمت الرسالة إلى أربع مقاطع دلالية، بحسب معاني كل جزء، ثم استخرجت الدلالات والإيحاءات من كل مقطع و قد جاءت كالاتي:

<sup>1</sup> - كريم حسان الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985، ص 294.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

### • المقطع الأول: البعد والفراق وشدة الاشتياق:

عندما يغزونا الشوق لمن نحب، لا بديل لنا سوى التعبير عنه شفويا أو كتابة، فافتقاد الشخص أحيانا يجعل العالم خاويا، و الاحساس بالفتقد مؤلم، فنجد ابن الخطيب يسبح في البحر الطويل "فعلون".  
و تبدأ الأبيات بصوت مكسور أقرب إلى الأنين ، صوت يحمل معاناة النفس الموجوعة، ويشكو حينئذ من ألم و مرارة كل شيء، يحمل الحزن و يجسد الدمع ، والأسى الذي يؤرق ابن الخطيب.

بِنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَيَّ بِهَيْئَةٍ      فَيُنزِلُنِي عَنْهَا الْمِكَّاسُ بِأَثْمَانِ  
حَبِيبُ نَأَى عَنِّي وَصَمَّ لِأَنْتِي      وَرَاشَ سِهَامَ الْبَيْنِ عَمْدًا فَأَصْمَانِي  
وَقَدْ كَانَ هُمُ الشَّيْبِ لَا كَانَ كَافِيًا      فَقَدْ أَدْنَى لَمَّا تَرَحَّلَ هَمَّانِ  
شَرَعْتُ لَهُ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي مَوْرِدًا      فَكَدَّرَ شُرْبِي بِالْفِرَاقِ وَأُظْمَانِي

و يعد ما نظمه لسان الدين ابن الخطيب شعرا و افتتح به رسالته التشويقية ، فيحتمي فيها بعبد الرحمن من ظلم و جور و أذى وزراء السلطان ابن الأحمر، أجود ما ثار به قريضة توجعا، و تألما على فقد صديقه ، و هي من أصدق المعاني و أشدها تأثيرا.

### • المقطع الثاني: التصبر وتذكر الطلل والأماكن البالية

اعتاد الشاعر الجاهلي أن يبدأ قصيدته بما يسمّى بالوقوف على الأطلال باكيا ذاكرا حبيبته، مخاطبا دمنة ، يستعرض لسان الدين بن الخطيب في المقطع الثاني الذي يبدأ من : " أمّا الشوق فحدّث عن البحر و لا حرج... إلى غاية وأستدعيه على ظلم ابتدعه"، فهنا صورة نفسه بعد الفراق وما فعل به الشوق ، لكنّه يعلّل نفسه و بالأمال يرقبها، لأن نفسه مؤمنة قويّة راضية بالقضاء و القدر، تؤمن أنه بعد الشدة يأتي الفرج.

ثم ينتقل إلى تذكّر المعاهد الخالية و الرسوم البالية علّها تنسيه الأسى و لوعة الفراق فاستحضار المكان القلم و أهله، شيم و كرم التّلاء ، بمجانبة طيف لشخص رحل، و ما الوقوف على الطلل سواء المكاني أو الزماني، و استرجاع ذكريات مضت تؤزق العين ، فلا يجد الجفنّ للإغماض سبيلا ، إلاّ تعليل وتصبر ، و لسان

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

الدّين ابن الخطيب قد أفصح عن وقوفه المتجدّد أمام الأطلال البالية بقوله : " و جدّدت رسوم الأسي بمباكرة الرّسوم البالية"، فوصف المكان وكأننا نراه ، بشكل الحفير حول الخباء أو حول الخيمة لمنع سيل الماء بالإبحراف إليها ، و شكل الأحجار التي كانت تهيأ للموقد بشكل ثاء مثلثة، و ميم الموقد الموضوع فوقها، فقال : " اسأل نون التّوى، عن أهليه، وميم الموقد المهجور عن مصطليه، و ثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحّدين، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتمدين".<sup>1</sup>

و يتضح لنا من خلال هذا المقطع التّركيز على مشاعر وعواطف "الأنا" والآخر، في غلبة ضمير المتكلم و ضمير المخاطب ، تلك الأنا التي تولّد الرّغبة في المحافظة على ثوابت أصل الإنسان و معدنه وجوهره، رغم تغيّر منصبه أو مكانته، فلسان الدّين الخطيب رغم تقلده للوزارة إلّا أنّه لم يتنكّر يوماً للخيام و الأثافي و المواقد، فالتطوّر ليس عائقاً و لا دافعاً للتّغيير عن الثّوابت والأصول.

إن إيجاءات الطّلل توحى بمشاعر وجدانية تراثية ، إيجاءات توقع في نفس ابن الخطيب ، وقوف على ما فعله القدماء ، وتضمنه للطّلل يفصح عن هويته العربيّة ، تنداعى في جسده هموم أمة.

### • المقطع الثالث: الرّجوع إلى الماضي العريق و التاريخ الأصيل

#### - مكانة العرب التاريخية

في هذا المقطع يعتمد لسان الدّين بن الخطيب ، إلى تسليط عدسته على مشاهد مختلفة، يجمعها إطار مكانيّ واحد فهو يصف العرب من خلال المفارقة السّاخرة بين العرب و العجم و يبدأ المقطع من : " فلولا عسى الرّجاء و لعله، لا بل شفاعة المحلّ... إلى غاية البيت الذي أوردته وهو لحنجد المري :

ما أقدر الله أن يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول<sup>2</sup>

فقد استحضّر تاريخ العرب و عاداتهم و تقاليدهم، و قارن بينها وبين العجم، وطريقة عيشهم في البادية

بين الخيام و الصّحراء.

<sup>1</sup> - ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون ، ص 111.

<sup>2</sup> - البيت لحنجد المري، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3، دار المأمون، مكتبة عيسى البابي الحلبي، مصر، دط، دت، ص435

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

- تاريخ الأندلس:

وتحضر الأندلس الغائبة في النصّ بسياستها و نظام حكمها و بفكرها و طريقة عيش أهلها، فهو يتحدث عن فترة تاريخية في حكم غرناطة ، كما ذكر بني مرين و بني مزن في المغرب و علاقتها بالأندلس، لأنّه كان شاهدا على عصره في تلك الفترة و على كلّ الأحداث التي وقعت آنذاك، و نجد عنصر التكرار الفنيّ و الاستطراد و الاستطالة في الوصف و الصّراع بين ثقافتين مختلفتين فكر اسلامي الساعي لتأسيس دولة اسلامية وفكر نصراني أوروبي.

### • المقطع الرابع: الأمل في اللقاء والوصول قبل الموت

و هو ما تبقى من الرسالة ، فيصور ابن الخطيب في صورة المتمسك بالأمل، و الدليل على ذلك القوّة التي يتمتع بها في مواجهة المحن بفعل السعيات، وهذا ما يحقّق الارتياح الذي يؤدي إلى السعادة ، فيقول في آخر الرسالة أملا في الوصول قبل الممّاة: " و أتاح لقاءك من قبل الممّاة و السّلام الكريم يعتمد حلال ولدي، والسّاكن خلدي بل أخي و إن اتقيت عتبة ، و سيّدي و رحمة الله و بركاته ، من محبّة المشتاق إليه محمّد ابن عبد الله ابن الخطيب " .

ب - دلالات الرموز :

### • الرّمز الدّيني:

يتحدد الرّمز الدّيني من خلال إشارة ابن الخطيب إلى نبي الله: سيّدنا سليمان.

فلا شك أن سيّدنا سليمان يدلّ على التمكين في الأرض والتأييد من الله تعالى بتسخير الرياح والجن له فقد كان عليه السّلام يوجه الجن لما يشاء من الأعمال لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۗ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾<sup>1</sup> ، وهذا ما يجعل الخطيب يلمح إلى حبه وشوقه إلى ابن خلدون دون التصريح به قائلا من خلال البيت الشعري:

فقصت بجن الشوق جن سليمان

سألت جنوني فيه تقرب عرشه

<sup>1</sup> - سورة الأنبياء، الآية 82

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

﴿ وَحَشِرَ لِسَائِمُنَ جُنُودَهُ مِنْ أَلْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾<sup>1</sup>، وقوله أيضا: ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ أَلْجِنِّ أَنَا عَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ۗ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾<sup>2</sup>، فقد جمع الله عز وجل جنود الجن وشياطينها لتعمل معه وهذه الجن تملك خوارق عجيبة كالسرعة والخفة والكثرة وغيرها ولعل هذه الصفات كلها جمعت لسان الدّين ابن الخطيب، حين ذكر جن سليمان، فهو يريد بكثرة الشوق من حيث كثرة جنود الجن، وهو يريد الخفاء فكما أن الجن لا ترى كذلك الشوق والحنين لا يعلم به إلا صحابه، ولا يمكن لأي شخص الاطلاع عليه، وهنا تكمن العلاقة في توظيفه للجن وتشابهه شدة روعته، مع بعض من صفات الجن. وإذا كان سيدنا سليمان قد تربع على عرش الملك وحشر له من الجنود جنا وإنسا وطيرا، فابن الخطيب كذلك تربع على عرش الشوق وسخر له من جنوده يأتونه طوعا وكرها، كلما تذكر وحن وإشتاق.

### ● الرّمز التاريخي

- سلاطين ووزراء الدولة: (يحي وأبو العباس). يستعمل الكاتب هنا الأسماء لينوه ويبرز أبطال الدولة ومعالمها ويبرز الروابط بينهم.
- هذا البلد: استعمل الكاتب هذا الرّمز ليدل به على أرض الحرم (مكة).
- بسكرة: بلد بالجزائر.

بالإضافة إلى مدن أخرى كتستّر (مدينة بخرسان) وسوسة (مدينة بتونس)، حمص (مدينة بسوريا) وهجر (مدينة بالبحرين)، وذكر هذه الأماكن تدل على تعلقه بها ومدى الارتباط بين المدّن الموجودة بأرض المشرق العربي بمدن المغرب العربي.

### ● الرّمز الطبيعي:

- البحر: فيقول: " أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج"، فالبحر يرمز إلى كثرة الشوق واتساعه، فقد لا يكفيه البحر للدلالة على شوقه.
- شمس الضحى: " نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الإصباح عمودا"، شمس الضحى تدل على الوضوح والعلو و السمو.

<sup>1</sup> - سورة النمل، آية 17.

<sup>2</sup> - سورة سبأ، آية 39.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

- الغيث : " من أنكر غيثاً منشؤه في الأرض ينوء بمخلفها"، الغيث دلالة الخير والرزق الكثير.
- النخيل : " اللهم غفرا، وأين قرارة النخيل، من مشوى الأكلف البخيل، ومكذبه المخيل، وأين ثانية هجر من متبواً من ألد وفجر". تدل النخيل على أن الأرض بالصحراء، فهي تعكس البيئة الحاضرة في النصّ.
- الرياح : " يا من ترحل والرياح لأجله يشتا، إن هبت شذا رباها، تحيا النفوس إذا بعثت تحية وإذا عزمت اقرأ ومن أحيهاها، "الرياح دلالتها خير، عكس الريح التي تحمل الشر، فإن هبت نسائمها، فإنها تبعث على الخير والطمأنينة والسلام.

### ت - الحقول الدلالية :

يتحدد مفهوم الحقل الدلالي في "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها"<sup>1</sup>. وينتهي علم الدلالة إلى تصنيف الحقول الدلالية، باعتبار ما تتضمن من أدلة لغوية وهو لا يخرج عن جنسين من المدلولات: مدلولات محسوسة ومدلولات تجريدية، وسنحاول فيما يلي تقديم وتحليل الحقول الدلالية التي تضمنتها رسالة ابن الخطيب المدروسة.

### • حقل الدين:

لقد كان الحقل الديني أكثر الحقول الدلالية حضوراً في رسائل الدين، ولم استغرب ذلك بتاتا، ذلك أن البيئة الثقافية التي احتضنت صاحب الرسائل عرفت اختفاء كبيراً بالبعد الديني في مختلف المناحي الحياتية لا سيما المجال الإبداعي الذي كان الشعر سنامه. ففي المغرب الإسلامي والأندلس كانت الظروف في حاجة كبيرة إلى الفقهاء مما حتم على المثقفين والمبدعين في تلك الفترة أن يكونوا ملمين بالأمر الديني، ولسان الدين شاعر مفوه، فقد استجاب إلى النبض الثقافي لبيئته فاتسمت رسائله بلمسة دينية واضحة، ومن نماذج الحقل الديني في رسائل ابن الخطيب نجد: الحرم الأمين، الإسلام، الدعاء، إقامة الشعائر، شفاعته، مرضاة الله تعالى، كتابه المرقوم...

<sup>1</sup> - فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، لبنان، 1996م، ص 191.

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

### • حقل الكائنات الحية:

- **حقل الانسان:** شغل الانسان مكانة وحيزا كبيرا في ألفاظ الرسالة ، بحيث أضفى عليها جوا من الحركة والتشخيص والتجسيد بتوظيف كلمات الانسان، ومن الكلمات الأكثر ورودا نجد: حبيب - قوم - عابد - عبد الرحمن - المؤمن - الانسان.

ودلالة الانسان ذلك الكائن الحي، الاجتماعي بطبعه، الذي يحمل صفاتا ويفكر ويتحرك ويمارس الحياة بمختلف أطوارها، وكأن هناك علاقة بين الانسان وكل ما حمل من دلالات والشوق وصفاته.

- **حقل الحيوان والطيور:** يعتبر الحيوان عنصرا أو حقلا من الحقول الدلالية التي شكلت الرسالة فضلا عن الطبيعة والانسان، فقد لاحظنا ذلك التنوع الملموس، من طيور وحيوانات وكلها تحمل دلالات ومعان تتلاءم مع ما يتوخاه لسان الدين ابن الخطيب.

- **الطيور:** الطيور والحمام والعصافير كانت تملأ ساحات الأندلس، وتعلو أفنانها وسط والبساتين والأزهار.

- **الحمام:** لطالما ارتبط الحمام غالبا بمواقف البين والفراق، حالة من الأسى ولدها البعد، فصور وجده وارتباعه في الحمام ومعه ألفاظ حزينة مثل:

إذا كان الفراق هو الحمام الأول..

وحمامه في ماتم ذي اشتباك.

حمامه بعدك تندب فيساعدها الجندب.

فعادة يرتبط ذكر الحمام مع الفراق مع أنه أكثر الطيور أنسا وقربا، وأكثرها إيجاء بالوداعة والجمال والألفة فهديله يبعث الأنس في النفوس، فالحزين يرى في صوت الحمام حزنا والمبتهج يرى في صوته تغريدا وطمانينة وسكينة، فالحمامة في رسالة ابن الخطيب اقتزنت بمشاهد البؤس والبكاء والندب وكأنها في ماتم.

- **الغراب:** فيقول ابن الخطيب: " ونعق الغراب بينها في ربوع الهوى، والتنطق بالزجر فما نطق عن الهوى"، يبعث على اشمئزاز والتشاؤم لسواد لونه، وصوته النشاز وشكله القبيح، ودلالة لكل حرف من حروفه: " فالغين منه تعني الغم والنكد، والراء تعني الردى والهلاك، والباء تعني البؤس والشقاء، والغراب

## الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق

يحمل أيضا دلالة الغربة والاعتزاب<sup>1</sup> والتي تتقاطع مع الكاتب ونفسيته المتغربة، وجاء الغراب مقترنا مع البين.

### – الحيوانات: ونجد:

- **الجواد: أو الخيل**، جاء ذكره في الأدب العربي في المرتبة الثانية بعد الإبل، وكانت الخيول إما للحرب أو الصيد أو للفروسية. "الخيل ميامين"<sup>2</sup>، وذكر ابن الخطيب الجياد بلفظة الجمع، كما وذكره في لفظ غير مباشر وهو الغرر، ويقصد به الفرس الذي في جبهته بياض، ويتمن به ويستبشر به الخير.
  - **الحية**: وجاء ذكر الحيات في قوله: "كأنها الأسل تروع برقط الحيات سرب الحياة"، ولقد جاءت الحيات بصيغة الجمع، وشبه رقط الحيات وهي الحية التي في لونها سواد وبياض بالأسل، وتظهر علاقة الحية بالحياة والحيوية من خلال اسمها، هذا الاسم الذي تتعدد دلالاته.
- وابن الخطيب يصور الحالة النفسية القلقة والصراع الداخلي بين الحزن والفرح، بين القلق والسكينة، وحتى في وقوفه على ذكريات الأطلال التي ذكرها، فهو بين الحياة والموت.
- فقد كوّن لسان الدين ابن الخطيب ثقافة مع من حوله من الحيوانات، وهي كلها رموز تتعلق به وبما يحيط حوله، ولعل بينها علاقة ترابط فقد ذكر: الطير والحمام والغراب والزرزور والعنقاء من عالم الطيور، وذكر الحمل والجندب والناقة والجواد والحية من الحيوانات الأخرى، ففي هذه الأصناف تنتمي المجموعة الأولى إلى عالم الحيوانات المحلقة، والأخرى الحيوانات الزاحفة أو الماشية، وكلها تؤدي دور الحركة التي هي أساس الحياة، كلها تصارع من أجل البقاء والوجود فحتى كلمة حيوان تحتوي على لفظ حياة.

### ● **حقل الطبيعة وما يتعلق بها:**

لقد حبا الله الأندلس بطبيعة خلابة شغفت بها قلوب الشعراء، وهمت بها نفوسهم فجات قريحتهم وتمتعوا بها، وقد كانت عدسة ابن الخطيب واضحة حيث تصورت عناصر تلك الطبيعة الخلابة، وجاءت عدة ألفاظ توحى بذلك: تفيأ ظلال الجوار – قرارة النخيل – غيثا منشؤه في الأرض – ثنايا زحفها – مرعى خلتنك – أيتها الرياض – نهرك الفياض – الشمائل المزهرة الخمائل، يلجأ إليها بكل ما تحمله من مكونات ومكونات عليها تخفف عنه وجع الشوق والظما، الحنين.

<sup>1</sup> – مجلة الركن الأخضر الإلكترونية، بتاريخ: 2006/01/27 [www.grenc.com/index.cfm](http://www.grenc.com/index.cfm)

<sup>2</sup> – أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1، ص 419.

A decorative border with colorful swirls in shades of red, yellow, and green, framing the central text.

خاتمة

بعد أن تمّ بحمد الله و فضله و أهميت بحثي و هو الدّراسة الاسلوبية لرسائل ابن الخطيب – رسالة الشّوق الى عبد الرّحمان بن خلدون – و تعرّفت على تراثنا الأدبي العريق الغنيّ بقيمه الأدبية و الانسانية ، و طرقت باب فن الرّسالة عبر العصور من النّشأة الى التّطور فالازدهار في العصر العباسي و الاندلسي ، و تعرّفت على شخصية لسان الدّين بن الخطيب و مآثره و الذي يعتبر من أهم شخصيات عصره ، كما لأنّ هذا البحث مدعاة لفتح باب يفضي الى إعادة قراءة هذا الفنّ وفق اجتهادات جديدة ، لأنّ فنّ الرّسالة كغيره من فنون النّثر العربيّ لا يزال يحتاج مزيداً من البحث و التّقيب ، و لقد توجت محاولة البحث عن الأجوبة للإشكاليات المطروحة الى جملة من التّائج التي نوردتها و هي :

- استخدام ابن الخطيب لكثير من الألفاظ ذات الدلالات الدّينية .
- ظهور حالة الحزن و كذلك التأزم النفسي بشكل واضح في الرّسالة و التي عبّر من خلالها عن شوقه لصديقه عبد الرحمان بن خلدون .
- البعد الإنسانيّ الحاضر بقوة في عاطفة الحب و الصّدق و الأخوة بين الصّدّيقين .
- اعتزاز لسان الدّين بهويته العربية الإسلامية .
- اهتمامه بأسلوب التّرميق اللفظي و المبالغة في التّصوير في الرّسالة .
- تميزت الرّسالة بالمزج بين الشّعور و النّثر و التي تؤكّد على تفوقه و براعته الفنّيّة .

و لعلّ هذا البحث برغم تقديمه لإجابات لكثير من الأسئلة غير أنّه يمكن أن تكون دراسات أخرى توضح ما سقط مني من الجوانب الفنية و الجمالية لرسائل لسان الدّين بن الخطيب بصفة عامة و لرّسالة الشّوق الى صديقه عبد الرحمان بن خلدون بصفة خاصة .

# قائمة المصادر و المراجع

### قائمة المصادر و المراجع:

#### القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. إبراهيم مجدي إبراهيم محمد، في أصوات عربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1427م، 2006م.
2. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، د.ط، 1978.
3. ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون.
4. ابن خلدون، المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، دت.
5. أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبعة مصورة بدار الكتب العلمية ، ط1.
6. أبو العباس المبرد، الكامل ، تح محمد أحمد الدّالي ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1993.
7. أبو الفتح ابن جني ؛ سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي ، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1985.
8. ابو المؤيد الخوارزمي: مقتل الحسين، تح: شيخ محمد سماوي، مطبعة أنوار الهدى، إيران، ط1، 1418 هـ .
9. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تصحيح فلادمير جرجاس، مطبع تريل، لبيدن المحروسة، ط1، 1988.
10. أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال.
11. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة.
12. أحمد خليل، المدّخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1968.
13. أحمد درويش، دراسة الاسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، د، ط، 1998.
14. أحمد رضا ، معجم متن اللغة، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د. ط ، 1980، حرف اللّام.
15. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط 1 ، 1971.
16. أمين أبو الليل ، محمد ربيع ، العصر العباسي الأول، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط1، دت.
17. بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية.
18. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط2، 1979.
19. الجاحظ، البيان والتبيين، تح و شرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط5 ، 1998 .
20. جبور عبد النور ، المعجم الادبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1979 م .
21. حسن جمعة، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2002.

## قائمة المصادر و المراجع

22. حسين نصار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي ، مكتبة الثقافة الدّينية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2006.
23. حنا الفاخوري ، الجامع في التاريخ العربي، دار الجليل، بيروت ،لبنان، ط1، 1986م .
24. خالد إبراهيم يوسف، الثّثر العربي أيام المماليك، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، د ت .
25. زكي مبارك ، الثّثر الفنيّ في القرن الرابع الهجري ، دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .
26. شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، مصر، ط2، 1992.
27. شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، دت .
28. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني ، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط12، 2001م .
29. صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق القاهرة / مصر، دن، ط1، 2006م، ص:55
30. صفى الرحمان المبارك فوزي، الرحيق المختوم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1414 هـ، 2003م.
31. صلاح الدّين الهادي ، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1407هـ 1987م.
32. الطبري، تاريخ الطبري،تح نخبه من العلماء، مطبعة بريل لبيدن، 1879م.
33. الطرابلسي محمد الهادي، قضايا الأدب العربي، مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1978.
34. طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1973 .
35. طه حسين، من تاريخ الأدب العربي.
36. عبد الحلّيم حسين الهروط ، الثّثر الفنيّ عند لسان الدّين ابن الخطيب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1 ، 1432هـ، 2013م.
37. عبد السلام هارون ، الأساليب الانشائية في النحو العربي .
38. عبد العال محمد يونس ، في الثّثر العربي قضايا وفنون ونصوص ، الشركة المصرية للنشر، لونغمان ، الإسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 1996.
39. عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1976م .
40. علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة العربية الواضحة مع دليلها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، د ط، د ت.
41. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 1 ، 1981 .

## قائمة المصادر و المراجع

42. فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت ، لبنان، 1996م.
43. فايز عبد النبي فلاح القيسي ، أدب الرسائل في المغرب في القرن الخامس الهجري ، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط 1 ، 1409هـ 1989م.
44. فيصل حسين طحيم العلي ، فنّ الترسّل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد ، أطروحة الماجستير، إشراف محمد محمود قاسم نوقل، جامعة النجاح الوطنية ، نابل فلسطين، 1422هـ ، 2001م.
45. كريم حسان الدّين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985.
46. لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة.
47. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ط5، 1981م، م20.
48. محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1987.
49. محمد محمود الدروي، الرسالة الفنية في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 1999.
50. واضح الصمد ، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، دت .
51. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، مكتبة عيسى الباي الحلبي، مصر، دط، دت.

### مجالات:

1. مجلة الركن الأخضر الالكترونية، بتاريخ: [www.grenc.com/index.cfm2006/01/27](http://www.grenc.com/index.cfm2006/01/27)
2. محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، ع95، أيلول 2004، رجب 1425، نسخة الكترونية من موقع اتحاد كتاب العرب، [www.awu-dam.org](http://www.awu-dam.org).

# الملاحق

يبلوغ آماله ، فلعمري إن محلّ ولايته لكفّي ، وإنّ عهد أمانته لوفّي ، وإنّ عامل جدّه لظاهر وخفيّ ، وما يفعله سيدي من رعيه ، وإنجاح سعيه ، محسوب من مناقبه ، ومعدود في فضل مذاهبه ، والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته « انتهى .

وقد تكررت في كتابنا هذا مخاطبات لسان الدين رحمه الله تعالى للخطيب ابن مرزوق المذكور نظماً ونثراً ؛ إذ كان - أعني ابن مرزوق - رئيس الدولة ، ومعمدّ الجليّة ، وسبق منّا التعريفُ ببعض أحواله في باب مشايخ لسان الدين ممّا جرّته المناسبة ، فليرجع إليه منّ أراد ، والله تعالى يجعل الجميع من أهل السعادة .

٩٣ - وممّا اشتمل على نثر لسان الدين ونظمه ما خاطب به الرئيس أبا زيد ابن خلدون ، لما ارتحل من بحر المرية واستقر ببلد بسكرة عند رئيسها أبي العباس ابن مزنيّ ، صحبة رسالة خطبها أخوه أبو زكريا ، وقد تقلّد كتابة صاحب تلمسان ، ووصل الكتاب عنه من إنشائه ، وهذه صورة ما كتبه لسان الدين رحمه الله تعالى<sup>١</sup> :

بنفسي وما نفسي عليّ بهينة	فينزلني عنها المكاس <sup>٢</sup> بأثمان <sup>٢</sup>
حبيب نأى عني وصمم لا يني	وراش سهام البين عمداً فأصماني
وقد كان همّ الشيب ، لا كان ، كافياً	فقد آدني لما ترحلّ همان
شرعت له من دمع عيني مورداً	فكدر شربي بالفراق وأظماني
وأرعبته من حسن عهدي جيمه	فأجذب آمالي وأوحش أزماني
حلفت على ما عنده لي من رضى	قياساً بما عندي فأحنت أيماني
وإني على ما نالني منه من قلى	لأشواق من لقياه نغبة ظمان

١ وردت هذه الرسالة في التعريف : ١٠٤ .

٢ المكاس : المشاحة في الثمن .

سألتُ جنوبي فيه تقربَ عرشه فقسْتُ بجنّ الشوقِ جنّ سليمانِ  
 إذا ما دعا داعٍ من القومِ باسمه وثبتُّ وما استثبتُ شيمةَ هيمانِ  
 وتالله ما أصغيتُ فيه لعاذلٍ تحاميته حتى ارعوى ونحاماني  
 ولا استشعرتُ نفسي برحمة عابدٍ تظللُّ يوماً مثلهُ عبدَ رحمنِ  
 ولا شعرتُ من قبله بتشوقٍ تخلل منها بينَ روحٍ وجثمانِ

أما الشوقُ فحدث عن البحرِ ولا حرجَ ، وأما الصبرُ فسلُّ به أيةَ درج ،  
 بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشقُ الفرجَ ، والمؤمن ينشَقُ  
 من رَوْحِ الله تعالى الأرجَ ، وأتى بالصَّبْر ، على إبر الدبّر ، لا بل الضرب  
 الهبر<sup>١</sup> ، ومطاولة اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ؟ وهل للعين أن تسلو سلو  
 المقصر ، عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرّها الرائي والمشاهد ؟  
 وفي الجسد بضعَةٌ يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ،  
 وإذا كان الفراق هو الحمام الأول ، فعلام الموعَل ؟ أعيتُ مرأوضة الفراق ،  
 على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تُفضي إلى السّياق :

تركتموني بعد تشييعكم أوسع أمرَ الصبرِ عصيانا  
 أقرعُ سني ندماً تارة وأستميحُ الدمعَ أحياناً

وربما تعلتُ بغشيانِ المعاهد الخالية ، وجددتُ رسومَ الأسى بمباكرة  
 الرسوم البالية ، أسأل نونَ النوى عن أهليه ، وميمَ الموقد المهجور عن مُصْطليه ،  
 وثناء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين ، وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين ،  
 لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، كلفْتُ لعمر الله بسالٍ عن جفوني المؤرقة ،  
 ونائم عن همومي المتجمعة المتفرقة ، ظعنَ عن مكلال ، لا متبرماً مني بشرّ  
 خلال ، وكدّر الوصل بعد صفائه ، وضرّج النصل بعد عهد وفائه :

١ الهبر : الذي يهر أي يقطع .

أقيل<sup>١</sup> اشتياقاً أيها القلبُ ربّما رأيتك تُصفي الودَّ من ليس جازياً<sup>٢</sup>  
 قها أنا أبكي عليه بدم أساله ، وأنهل فيه أسى له<sup>٣</sup> ، وأعلل بذكراه قلباً<sup>٣</sup>  
 صدعه ، وأودعه من الوجد ما أودعه ، لما خدعه ، ثم قلاه وودَّعه ، وأنشق  
 ربّاه أنفَ ارتياح قد جدَّعه ، وأستعدي به على ظلم ابتدعه :

خليلي هل أبصرْتُما أو سمعْتُما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي<sup>٤</sup>  
 فلولا عسى الرجاء ولعله ، لا بل شفاعة المحلّ الذي حلّه ، لمزجتُ الحنينَ  
 بالعتب<sup>٥</sup> ، وبثتُ كتابه كمناء في شعاب الكتب ، تهز من الألفات رماحاً خُزِرَ  
 الأستة ، وتوتّر من النونات أمثال القسيّ المرّنة ، وتقود من بياض الطرس  
 وسواد النّفس بلقاً تردّي<sup>٦</sup> في الأعنة ، ولكنّه أوى إلى الحرم الأمين ، وتفيأ  
 ظلّال الجوار المؤمن من معرّة العوار عن الشمال واليمين ، حرم الخلال المرّنيّة ،  
 والظلال اليزنيّة ، والهمم السنيّة ، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنيّة ،  
 حيث الرغد الممنوح ، والطير الميامن يزجر لها السنوح ، والمشوى الذي إليه -  
 مهما تقارع الكرام على الضيفان ، حول جوابي الجفان - الميلُ والجنوح :

نسب<sup>٧</sup> كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ، ومن فلق الصباح عموداً<sup>٧</sup>  
 ومن حلّ بتلك المثابة فقد اطمأنّ جنبه ، وتغمّد بالعفو ذنبه ، والله درُّ  
 القائل حيث يقول :

- ١ البيت للمتنبّي بعد فراقه لسيف الدولة وحلوله عند كافور .
- ٢ التعريف : وأندب في ريع الفراق ، أسى له .
- ٣ التعريف : وأشكو إليه حال قلب .
- ٤ البيت لجميل بثينة ، ديوانه : ١٧٦ .
- ٥ التعريف : لنشرت ألوية العتب .
- ٦ تردّي : تمثي الرديان ، وهو نوع من المشي دون العدو .
- ٧ البيت لأبي تمام (ديوانه : ٨١ ط . بيزوت) .

فوحقّه لقد انتدبتُ لوصفه بالبُخلِ لولا أنّ حمصاً داره  
بلد متى أذكره تهتج لوعي وإذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفراً ، لا كُفراً ، وأين قرارة النخيل ، من مثوى الأكلف البخيل ،  
ومكذبة المخيل ؟ وأين ثانية هجر ، من متبواً من ألد وفجر ؟

من أنكر غيثاً منشؤه في الأرض وليس بمُخلفها  
فبنانُ بني مزني مُزنٌ تنهلُ بلطفٍ مُصرّفها  
مُزنٌ مذ حلّ بيسكرة يوماً نطقت بمُصحّفها<sup>١</sup>  
شكرت حتى بعبارتها وبمعناها وبأحرفها  
ضحكت بأبي العباس من أيام ثنايا زخرفها  
وتنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعرفها

بل نقول : يا محلّ الولد ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ وأنتَ حلٌّ بهذا البلدِ ﴾  
(البلد: ٣، ٢) لقد حلّ بينك عرّى الخلد ، وخلق الشوق بعدك يا ابن خلدون  
في الصميم من الخلد ، فحياً الله تعالى زمناً شفيت برقي قربك<sup>٢</sup> زمانته ،  
واجتليت في صدف مجدك جمائته ، ويا من لمشوق لم تقض من طول خلتك  
لبيّانه<sup>٣</sup> ، وأهلاً بزروض أظلت أشتات معارفك بانته ، فحمامه بعدك تندب ،  
فيساعدها الخندب ، ونواسمه ترق فتغاشي ، وعشياته تتخافت وتلاشي ،  
ومزّنه باك ، ودوّحه في مآثم ذي اشتباك ، كأن لم تكن قمر هالات قبايه ،  
ولم يك أنسك شارع بابيه ، إلى صفوة الظرف ولُبابه ، ولم يسبح إنسان عينك في  
ماء شبابه ، فلهفي عليك من درة اختلستها يد النوى ، ومطل بردّها الدهر  
ولوى ، ونعق الغراب بينها في ربوع الحوى ، ونطق بالزجر فما نطق عن

١ مصحف بكرة : بشكره أو تشكره .

٢ التعريف : في قربك .

٣ التعريف : وقضيت في مرعى خلتك لبيّانه .

الهوى ، وبأي شيء نعتاضُ منك أيتها الرياض ، بعد أن طمى نهرك<sup>١</sup> الفياض ،  
وفهقت الحياض ؟ ولا كان الشانيء المشنوء ، والجربُ المهنوء ، من قِطْع  
ليلٍ أغار على الصبح فاحتمل ، وشارك في الدمّ الناقَةَ والجمل ، واستأثر جناحه  
ببدر النادي لما كمل ، نشر الشراع فرآع ، وأعمل<sup>٢</sup> الإسراع ، كأنما هو  
تمساح النيل ضايق الأجاب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة العين  
وعين النزهة ، ولجج بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتباع يحظر ، فلم  
يُقدّر إلا على الأسف ، والتماح الأثر المنشَف ، والرجوع بملء العيبة  
من الخيبة ، ووقر الحسرة<sup>٣</sup> من الحسرة ، وإتما نشكو إلى الله البث والحزن ،  
ونستمطر من عبارتنا المزن ، وبسيف الرجاء نصول ، إذا شرعت لليأس  
النصول :

ما أقدر الله أن يُدني على شحطٍ من داره الحزن ممن داره صول<sup>٤</sup>

فإن كان ككلم الفراق رغبياً<sup>٥</sup> ، لما نويت مغيباً ، وجللت الوقت الهنيء  
تشغيلاً ، فلعلّ الملتقى يكون قريباً ، وحديثه يروى صحيحاً غريباً .  
إيه ثقة<sup>٦</sup> النفس كيف حال تلك الشمائل ، المزهرة الحمائل ؟ والشيم ،  
الهامية الديم ، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله ، وأخمدت بعاصف البين  
ذُباله ، أو ترثي لشؤون شأها سكب لا يفتر ، وشوق بيت حبال الصبر ويتر ،  
وضنّي تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر ، والأمر أعظم والله يستر ، وما  
الذي يضيرك ؟ صين من لفح السموم نصيرك ، بعد أن أضرمت وأشعلت ،

١ نهرك : سقطت من ق .

٢ التعريف : وواصل .

٣ الجسرة : الناقة ؛ والوقر : الحمل .

٤ البيت لحندج بن حندج المري ، (حماسة المرزوقي : ١٨٣١) .

٥ الجرح الرغب : الواسع .

٦ التعريف : إيه سيدي .

وأوقدت وجعلت ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، أن تترفق بدماء ، أو تردّ  
بنُغْبَةِ ماء ، أرماقَ ظمَاء ، وتتعاهد المعاهد بتحية يُشَمُّ منها شذاً أنفاسك ، أو  
تنظر إلينا على البعد بمُقَلَّة حَوْرَاء من بياض قرطاسك وسواد أنفاسك ، فربما  
قنعت الأنفُسُ المحبة بخيال زُور ، وتعلت بنوالٍ منزور ، ورضيت لما لم تصيدِ  
العنقاء بزرزور :

يا من ترحل والنسيم لأجله تشتاق إن هبت شذا ريتاها  
تحيي النفوس إذا بعثت تحية فإذا عزمتم اقرأ ﴿ومن أحيائها﴾<sup>١</sup>

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوساً تفديك - والله تعالى إلى الخير يهديك -  
فنحن نقول معشر مرديك : ثنّ<sup>٢</sup> ولا تجعلها بيضة الديك<sup>٣</sup> ، وعذراً فإنني لم  
أجتر على خطابك بالفقر الفقيرة ، وأدلت لدى حجراتك برفع العقيرة ، لا عن  
نشاط بعثت مرموسه ، ولا اغتباط بالأدب تغري سياسته سوسه ، وانبساط  
أوحى إليّ على الفترة ناموسه ، وإنما هو اتفاق جرته نفثة المصدور ، وهناء  
الحربِ المجدور ، وخارق لا مخارق<sup>٤</sup> ، فتم قياس فارق ، أو لحن غني به بعد  
الممات<sup>٥</sup> مفارق ، والذي سببه<sup>٥</sup> ، وسوغ<sup>٦</sup> منه المكروه وحببه ، ما اقتضاه  
الصنويحيى - مدّ الله تعالى حياته ، وحرّس من الحوادث ذاته - من خطاب  
ارتشف به لهذه القرينة بئالاتها ، بعد أن رضي علالاتها ، ورشح إلى الصّهر  
الحضرمي سلالاتها ، فلم يسع إلا إسعافه ، بما أعافه ، فأمليت مُجيباً ، ما لا

١ إشارة إلى الآية الكريمة : ومن أحيائها فكأنما أحيانا جميعاً (المائدة : ٣٢) .

٢ من قول بشار :

قد زرتنا مرة في العمر واحدة ثني ولا تجعلها بيضة الديك

٣ التعريف : وإن تعلل به مخارق .

٤ التعريف : بعد البعد .

٥ التعريف : والذي هيا هذا القدر وسببه .

٦ التعريف : وسهل .

يُعدّ في يوم الرهانِ نجيباً ، وأسْمعتُ وِجيباً ، لما ساجلتُ بهذه الترهاتِ سحرأً عجيباً ، حتى إذا أَلَفَ القلمُ العريانَ سَبَّحَه ، وجمع برذون الغرارة فلمْ أُطِقْ كَبَّحَه ، لم أُنْفِقْ من غَمْرَةٍ غلوةً ، وموقف متلوّه ، إلا وقد تميّز إلى فئتكَ معترأً بل معترأً ، واستقبلها ضاحكاً مُفترأً ، وهشاً لها برأً ، وإن كان لونهُ من الوجَلِ ١ مُصْفَرأً ، وليس بأول من هجر ، في التماس الوصل ممن هَجَرَ ، أو بعث التمر إلى هَجَرَ ، وأي نسب بيني اليوم وبين زخرف الكلام ، وإجالة جِياد الأَقلام ، في محاورَة الأعلام ؟ بعد أن حال الجَرِيض ، دون القريض ٢ ، وشغل المريض ، عن التعريض ، واستولى ٣ الكسل ، ونصلت الشعرات البيض كأنها الأسَل ، تروع برقط الحيات ، سِرْبَ الحياة ، وتطرق بذوات الغُرُزِ والشيات ٤ ، عند البيات ، والشيب الموت العاجل ، وإذا ابيضَ زَرَعٌ صَبَّحتَه المناجل ، والمعتبر الآجل ، وإذا اشتغل الشيخ بغير معاده ، حُكِم في الظاهر بإبعاده ، وأسرَه في مَلَكَةِ عاده ، فأغضِ أبفأك الله واسمح ، لمن قَصَرَ عن المَطْمَح ، وبالعين الكليلة فالبح ، واغتم لباسَ ثوب الثواب ، واشفِ بعض الجوى بالجواب ، تولاك الله تعالى فيما استضفت وملكت ، ولا بعدت ولا هلكت ، وكان لك أبةً سلكت ، ووَسَمَك من السعادة بأوضح السمات ، وأتاح لقاءك من قبل الممات ، والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي ، وساكن خلكدي ، بل أخي وإن غتبتَه ٥ وسيدي ، ورحمة الله تعالى وبركاته » انتهى .

قلت : هذه الرسالة الرافلة في حلل البلاغة لم أر مثلها ولم أقف عليه ، فرحم الله تعالى لسان الدين ووجهه سحائب الرحمة إليه ، فلقد كان آيةً الله في النظم

١ التعريف : الخجل .

٢ هذا مثل ؛ والجريض : ما يعترض في الخلق من غصص ، أي حال العائق دون قول الشعر ، ويتصل بقصة عبید بن الأبرص ويوم البؤس عند النعمان .

٣ التعريف : وغلب حتى .

٤ ذوات الفرر والشيات هي الخيل .

٥ التعريف : وإن اتقيت عتبه .

# الفهرس

	- شكر و عرفان
	- اهداء
أ-ت	- مقدمة
5	مدخل (تعريفات)
5	1 - تعريف الرسالة
5	أ - التعريف اللغوي
6	ب - التعريف الاصطلاحي
7	2 - مفهوم الأسلوب و الأسلوبية
8	3 - لسان الدين بن الخطيب حياته و آثاره
<b>الفصل الأول : نشأة و تطور فنّ الرسالة ( مقارنة تاريخية )</b>	
13	1 - العصر الجاهليّ
15	2 - العصر النبويّ
16	3 - عصر الخلافة الراشدة
20	4 - العصر الأمويّ
23	5 - العصر العباسيّ
29	6 - العصر الأندلسيّ
<b>الفصل الثاني : دراسة أسلوبية لرسالة الشوق</b>	
36	1 - المستوى الصّوتي
37	أ - الجهر و الهمس و دلالتهما في الرسالة

## فهرس المحتويات

40	ب- حروف اللّين
41	2- المستوى التركيبى
42	أ- تركيب الجملة الاسمية
42	ب- تركيب الجملة الفعلية
44	ت- أسلوب النفي
44	ث- الضمائر
45	ج- تراكيب الإضافة
45	ح- الأساليب الإنشائية
47	خ- الروابط التركيبية
48	3- المستوى الدلالي
48	أ- المقاطع الدلالية
51	ب- دلالات الرموز
53	ت- الحقول الدلالية
57	خاتمة
59	المصادر و المراجع
63	الملاحق
	فهرس المحتويات
	الملخص

اشتمل هذا البحث على دراسة أسلوبية لفنّ الرّسالة ، و كنموذج رسالة ابن الخطيب في الشوق إلى صديقه عبد الرحمان ابن خلدون ، فبدأت البحث بالتعريف بفنّ الرّسالة ، و مراحل تطوّره حتّى وصل إلى الازدهار ، و بعدها حاولت الكشف عن الخصائص الأسلوبية في الرّسالة ، و ذلك بتوظيف الدراسة من خلال المستويات الثلاث للتحليل ، وفق عملية إحصائية ، ففي المستوى الصّوتي كانت هناك ظاهرة التكرار الصّوتي لتبين حالة ابن الخطيب النفسية و مدى شوقه لصديقة عبد الرحمان ابن خلدون ، و في المستوى التركيبي درست تركيب الجمل الاسمية و الجمل الفعلية ، و أسلوب النفي ، و الأساليب الإنشائية ، و أما في المستوى الدّلالي، فتناولت المقاطع الدّلالية ، و دلالات الرموز كالرّمز الدّيني و الرّمز التاريخي و الرّمز الطبيعي ، و في الحقول الدّلالية نجد حقل الدّين و حقل الكائنات الحية و حقل الطبيعة ،

### الكلمات المفتاحية :

فنّ الرّسالة، الأسلوبية، ابن الخطيب، رسالة الشوق.

### **Abstract**

This research included a stylistic study of the art of the message, as a model for Ibn al-Khatib's message in longing to his friend Abd al-Rahman Ibn Khaldun. The study through the three levels of analysis, according to a statistical process, in the phonetic level there was the phenomenon of vocal repetition to show the psychological state of Ibn al-Khatib and the extent of his longing for the friend of Abd al-Rahman Ibn Khaldun. Structural methods, and as for the semantic level, they dealt with the semantic passages, and the connotations of symbols such as the religious symbol, the historical symbol and the natural symbol, and in the semantic fields we find the field of religion, the field of living creatures and the field of nature

### **key words :**

The art of the message, stylistics, Ibn al-Khatib, the message of longing.